الملتقى الدولي والموسوم بـ :

"المدخل السياقي للحديث النبوي الشريف: أسسه النظرية،

وتطبيقاته عند أعلام الجزائر وتونس"

يومي 26-27 نوفمبر 2024 ،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –

قسنطينة

وجامعة الزيتونة-تونس

السياق وأهميته في التعامل الحديث النبوي الشريف

- ابن قُرْقُول الوَهْرَانِي أنموذجا من خلال كتابه مَطَالِعُ الأنوار على صحاح الآثار –

The Context and its Importance in understanding the prophetic Hadith
Ibn Qurkul al-Wahrani as a model through his book
Matalia al-Anwar ala Sahih al-Athar

الأستاذ الدكتور سامي رياض بن شعلال

أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة/الجزائر

samyriadh52@gmail.com

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث المقدم إلى الملتقى الدولي **(المدخل السياقي للحديث النبوي الشريف أسسه النظرية وتطبيقاته عند أعلام الجزائر وتونس)**، إلى إلقاءِ الضوء على مسألة السياق عند الإمام ابن قرقول الوهراني في تحليل الخطاب وتوجيه دلالته، وأثره في فهم الحديث النبوي، وقد لاحظ الباحث أن ابن قرقول اعتمد السياق في مجال الفهم والترجيح ونقد الأحاديث، كما تم تسجيل جملة من النتائج يجدها القارئ في ختام المداخلة.

الكلمات المفتاحية: ابن قرقول - الوهراني - مطالع الأنوار - السياق.

Abstract:

This research, presented at the International Symposium "The Contextual Approach to the Noble Prophetic Hadith: Its Theoretical Foundations and Applications Among Scholars of Algeria and Tunisia," aims to shed light on the issue of context as employed by Imam Ibn Qurqul al-Wahrani in the analysis of discourse and the interpretation of its meaning, and its impact on understanding the Prophetic Hadith. The researcher noted that Ibn Qurkul relied on context in the areas of understanding, prioritization, and the critique of hadiths. A set of findings has also been recorded, which the reader will find at the conclusion of the presentation.

Keywords: Ibn Qurkul - al-Wahrani - Matalia al-Anwar - The Context**.**

مقدمة: الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على خاتم رسله محمد ابن عبد الله، وعلى صحابته وآله، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنّ الله تعالى أكرمنا بالسنة النّبوية – على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم -، فهي بيان للقرآن الكريم، ومن أهم مصادر التشريع الإسلامي، وإنّ من المطالب الجليلة، والمقاصد العظيمة، قراءتها قراءة صحيحة، وفهم نصوصها من أنبل المقاصد، وأحق ما صرفت إليه العناية، وشغلت به الهمة، والعلوم كلها خادمة لها المقصد العظيم، وقد اجتهد علماء الإسلام – قديما وحديثا – من أجل الوصول إلى هذه الغاية، فوضعوا الضوابط التي تضمن الفهم الصحيح للسنة النبوية، ذلك أنّ تحريف الأحاديث النبوية عن مراد الشارع الحكيم هو في حقيقة الأمر تحريف لبيان القرآن الكريم.

لما كان الملتقى الدولي: **(المدخل السياقي للحديث النبوي الشريف أسسه النظرية وتطبيقاته عند أعلام الجزائر وتونس)**، يسعى إلى إلقاء الضوء على أهمية السياق في تحليل الخطاب وتوجيه دلالته، وأثره في فهم الحديث النبوي، والوقوف على المدخل السياقي له في المدونات الشرعية، واللغوية، والأدبية، والبلاغية، والنقدية، اتجه القصد للكتابة في المحور الثالث، الخاص باستثمار علماء الجزائر وتونس للسياق في فهم الحديث النبوي الشريف، ورأيت أن تكون مداخلتي حول السياق عند ابن قرقول الوهراني من خلال كتابه: **"مطاع الأنوار على صحيح الآثار في فتح ما استَغلق من كتاب الموطأ وكتاب مسلم وكتاب البخاري"**.

أهمية الموضوع:

وتكمن **أهمية** البحث في الآتي:

- أن الدراسة تتناول صنيع إمام فحل من أئمة القطر الجزائر المُفدى، وهو ابن قرقول الوهراني، وقد تتالت عبارات أهل العلم بالثناء عليه والمدح له.
- أيضا الدراسة تناولت سفرا جليلا احتل منزلة رفيعة، وذاع صيته في الأمصار، واعتمده العلماء ضمن مصادرهم الأولى.
- أنّ الترجيح باعتبار دلالة السياق عمدة من أعمدة الترجيح بين المعاني والاختيارات.
- أنّ دلالة السياق من أهم المباحث المعيارية في فهم النصوص.
- أنّ إهمال ما دلّ عليه السياق في الترجيح خلل منهجي يؤثر سلبا في أي دراسة.

سبب اختيار الموضوع:

يرجع سبب اختيار الموضوع إلى ما تقدم بيانه من أهمية البحث، بالإضافة إلى الحق الذي يلزمنا تجاه علماء الأمة عموما، وتجاه عملاء بلادنا الجزائر على وجه الخصوص، في بيان جهودهم في خدمة العلم عموما، والعناية بكتب السنة على وجه الخصوص.

الهدف من موضوع البحث:

يرمي البحث إلى تحقيق الآتي:

- بيان أهمية السياق في الترجيح عند ابن قرقول الوهراني.

- بيان عناية علماء الجزائر بهذا الجانب.

- الرد على الادّعاء القائل بعدم نبوغ علماء من أرض الجزائر المحروسة، من خلال التعريف بابن قرقول الوهراني ومؤلفاته، وبخاصة كتابه مطالع الأنوار، وبيان عنايته بهذا الجانب العلمي فيه.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة تناولت السياق عند ابن قرقول الوهراني من خلال كتابه مطالع الأنوار على صحاح الآثار، وإنما وقفت على دراسات حول الترجيح بدلالة السياق عند غير ابن قرقول، أو حول السياق وأهميته في الفهم والترجيح، وهذا يمثل جانبا من دراستي، كما تحدث حول ابن قرقول الوهراني وكتابه المطالع من حقق الكتاب، وهذا أيضا جانب من دراستي، وبالتالي الدراسات السابقة إنما خصت الحديث عن السياق، وعن وأهميته في الوصول إلى الفهم الصحيح، كما عنيت بالحديث عن ترجمة ابن قرقول الوهراني وكتابه المطالع.

فمن الدراسات حول دلالة السياق وأهميته، الآتي:

- **السياق وأثره في فهم الحديث النّبويّ**، للدكتور لخضر لزرق، وهي أطروحة دكتوراه نوقشت بقسم الكتاب والسنة بكلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعوم الإسلامية سنة (2017م)، عالج فيها السياق كضابط من ضوابط فهم السنة، مع بيان الأثر البالغ الذي يحدثه هذا الضابط في فهم النصوص. كما تحدث عن الفهوم التي تنكبت السياق، واعتبرت ظاهر النصوص دون الرجوع إلى معهود العرب ونطقها، وأسباب الورود، ومراعاة المعاني، وعادة المتكلم في ذلك، أو تلك التي بنت فهومها على المنهج الحداثي، الذي فرط وضيع المعاني في زحمة ركام من العبثية المطلقة، والشّطح على أعتاب المعاني كيفما اتفق[1].

- **دلالة السياق وأثرها في فهم النصوص**، للأستاذ الدكتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم. نشرته دار اليسر سنة (2019)، والكتاب يقع في (448) صفحة، وقد تناولت الدراسة مفهوم دلالة السياق لغة واصطلاحا، وأهمّ صورها كما وردت في بعض مصادر اللغة وشروح الحديث، وأثر إعمالها في الفهم الصحيح لمتن الحديث النبوي ومراد الشارع منه. كما تناول البحث ضوابط التعامل مع دلالة السياق.

- **دلالة السياق وأثرها فب تفسير النص الشرعي**، للدكتور سعد بن مقبل بن عيسى الحريري، طبع بدار طيبة الخضراء للنشر والتوزيع بمكة المكرمة، سنة (2015). يقع الكتاب في (665) صفحة.

- **دلالة السياق وأثرها في استنباط الأحكام**، للدكتور خالد محمد العروسي عبد القادر، جمع فيه أقوال الأئمة عن دلالة السياق، وبيان أثرها في تخصيص العام، وتبيين المجمل، وتعيين المحتمل، مع مسائل استنبطها العلماء بهذه الدلالة.

- **السياق عند المحدثين منهجا متكاملا لفهم الحديث النّبوي**، للأستاذ الدكتور أبي يكر كافي، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، ضمن فعاليات الملتقى الدولي: الحديث النبوي الشريف وآليات تحليل الخطاب، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، يومي 11 و12 شعبان 1443هـ الموافق لـ: 14و15 مارس 2022م. بين فيه إعمال المحدثين السياق في فقه الحديث، متخذين إياه قاعدة منهجية وركيزة مهمة من

[1] تعبيرات التعريف بالأطروحة مأخوذة من كلام مصنفها.

ركائز الفهم، يستجلى بها المعنى المقصود من خطاب النّبيّ ﷺ. كما بين أن المحدثين لم يعتبروا اللفظ بمجرده في الفهم، وإنما عملوا على توسيع دائرة النظر ليشمل التراكيب اللغوية للحديث النبوي الشريف ونظمه العام، مع الامتداد إلى خارج النص، واعتبار ظروفه وملابساته المحيطة به، مما كان له الأثر في ضبط نص الحديث، وفي جودة الاستنباط والترجيح بين لامعاني وحل الإشكالات التي قد ترد على الأحاديث، والكشف عن غوامضه[2].

ومن الدراسات حول ابن قرقول الوهراني وكتابه المطالع، الآتي:

- الباب الثاني من تحقيق كتاب مطالع الأنوار، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، ط1 (1433هـ-2012م)، تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، فقد أُعدّ الفصل الأول منه حول ترجمة ابن قرقول في (32) صفحة، والفصل الثاني تحدث عن كتاب المطالع في (63) صفحة.

- ترجمة ابن قرقول الوهراني الواردة في طبعة المطالع بتحقيق الدكتور طه بن علي بوسريح التونسي، بدار ابن حزم بيروت، ط1 (1435هـ-2014م)، وقد أعدها في (41) صفحة، والتعريف بكتاب المطالع أيضا جاء في (31) صفحة.

- **الإمام ابن قرقول الحمزي الوهراني (ت569هـ) ومسائله العقدية في كتابه مطالع الأنوار على صحاح الآثار**، للدكتورة زينة مومني، مجلة المعيار، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، المجلد 18، العدد 36، صفحة (103-122)، تاريخ: (2014/11/27). البحث يقع في (17) صفحة، (11) منها حول ابن قرقول وكتابه المطالع.

- **الإمام المحدث الحافظ ابن قرقول الوهراني الجزائري**، للدكتور حمزة العيدية، مجلة آفاق العلوم جامعة الجلفة، العدد العاشر، جانفي (2018)، قام البحث بالترجمة لابن قرقول رحمه الله، كما يظهر من عنوان المقال[3].

والجديد الذي يقدمه بحثي – بالإضافة إلى الجانب النظري، وترجمة ابن قرقول، والتعريف بكتابه المطالع - هو بيان اعتماد ابن قرقول الوهراني دلالة السياق في الفهم والترجيح، وذلك بتتبع كتاب مطالع الأنوار من أوله إلى آخره، لتسجيل مواطن إعمال هذا المسلك عنده.

المنهج المتبع في إعداد المداخلة.

إن طبيعة الموضوع فرضت علي الاعتماد على المنهج **الوصفي التحليلي**، لتفصيل مباحث الدراسة، والإسهام في توصيف إشكالية البحث، للوصول إلى نتائجه، وهذا حملني على اتباع مجموعة من الخطوات، ابتداءً من بلورة الإشكالية في حدّ ذاتها، ثم تجميع المادة العلمية من خلال تتبعها في كتاب مطالع الأنور، وأيضا بالرجوع إلى المصادر والمراجع التي عنيت بكلام ابن قرقول، ثم قمت بتحليل المادة المجمعة من خلال المباحث والمطالب المبينة في خطة البحث الآتية، لتأتي في نهاية المطاف أهم الإجراءات في المنهج الوصفي التحليلي، وهي: النتائج المستخلصة، التي ستكون مرتبطة بأهداف البحث وإشكاليته.

المنهجية المتبعة في إعداد المداخلة:

أما المنهجية المتبعة فهي كالآتي:

---

[2] بالإضافة إلى دراسات سيأتي النقل عنها في ثنايا المداخلة، وأيضا مجموعة من الدراسات حول السياق وأهميته في الدرس التفسيري، واللغوي، والعقدي.

[3] كما رجعت إلى المصادر القديمة التي ترجمت لابن قرقول.

- الاكتفاء بالصحيحين عند تخريج الأحاديث، فإن لم يخرجاه عزوت إلى باقي الكتب الستة، إلا إن دعت الضرورة الرجوع إلى غيرها.

- الاكتفاء بذكر معلومات المصادر والمراجع في القائمة المعدة آخر البحث تجنبا لإطالة الهوامش، وفي حالة العزو إلى مصدر أو مرجع تقدم، أكتفي أيضا بذكر اسم الكتاب والصفحة دون مصنفه.

- عند تكرار العزو إلى مصدر أو المرجع فإني أكتفي بذكر العنوان دون مصنفه.

- عدم احتساب (ابن) و(أبو) و(الألف واللام) في ترتيب فهرس المصادر والمراجع.

- إذا كان المصدر أو المرجع لا يتوفر لديه تاريخ الطبعة، فإني أختصر ذلك كالآتي: (د ت ط)، وكذا إذا لا توجد عدد الطبعة، فإني أتصر ذلك كالآتي: (د ط).

إشكالية البحث:

محلُّ البحث جوابٌ عن **الإشكالية** الآتية: **هل وظّف ابن قرقول الوهراني السياق في كتابه مطالع الأنوار على صحاح الآثار؟ وكيف استطاع توظيفه في فهم والحديث النبوي الشريف؟**

ويتفرع عن الإشكال الرئيس أسئلة تخدم الموضوع، وضرورية لاكتمال مبناه، وهي: **ما هو مفهوم السياق؟ وما هي أهميته في الترجيح والفهم؟**

عنوان البحث وخطته:

رأيت من المناسب خدمةً لموضوع البحث، أن يكون عنوان المداخلة: **"السياق وأهميته في فهم الحديث النبوي الشريف** - ابن قرقول الوهراني أنموذجا من خلال كتابه مطالع الأنوار على صحاح الآثار- ".

وتنتظم خطة البحث مقدمة: أضمنها أهمية الموضوع، وأهدافه، وإشكاليته، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، ومنهجيته، وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف السياق، وبيان أهميته في فهم الحديث النبوي الشريف.

المطلب الأول: تعريف السياق- المطلب الثاني: أهمية السياق في فهم الحديث الشريف.

المبحث الثاني: التعريف بابن قرقول الوهراني وبمصنفه مطالع الأنوار، ووصف عام للكتاب.

المطلب الأول: التعريف بابن قرقول الوهراني- المطلب الثاني: التعريف بمطالع الأنوار، ووصف عام للكتاب.

المبحث الثالث: اعتماد ابن قرقول الوهراني السياق في فهم الحديث، والترجيح، وبيان العلة.

المطلب الأول: اعتماد ابن قرقول الوهراني السياق في فهم الحديث، المطلب الثاني: اعتماد ابن قرقول الوهراني السياق في الترجيح. المطلب الثالث: اعتماد ابن قرقول الوهراني السياق في بيان العلة.

الخاتمة: أذكر فيها أهم النتائج.

المبحث الأول: تعريف السياق، وبيان أهميته في فهم الحديث النبوي الشريف.

في هذا المبحث سأتحدث عن تعريف دلالة السياق وأهميتها في فهم الحديث النّبويّ الشريف، وذلك في مطلبين، وهما كالآتي:

المطلب الأول: تعريف السياق.

جرت العادة في الدراسات والبحوث أن تعرف المصطلحات من جهتين: من جهة الوضع اللغوي، ومن جهة الاستعمال الاصطلاحي، وفيما يلي التعريف اللغوي والاصطلاحي للسياق:

أولا: التعريف اللغوي.

أصل كلمة السياق يرجع إلى (سِوَاقٍ)، فقُلبت الواو ياءً لكسرة السين، والسيَّاق والسّواق هما مصدران، من ساق يسوق[4]، وجذر كلمة (السياق) مكون من السين، والواو، والقاف، ويرجع إلى أصل واحد، وهو: حدو الشيء[5]؛ وفي حديث أنس بن مالك τ، أنّ النّبيّ ﷺ أتى على أزواجه وسواق يسوق بهن، يقال له: أنجشة، فقال: «ويحك يا أنجشة، رويدا سوقك بالقوارير»[6]، والمراد: حادٍ يحدو الإبل، فهو يسوقه بحُدائِه، وسوّاق الإبل يقدمها[7].

وللسياق في لغة العرب دلالات عديدة، أوردها أصحاب المعاجم، وسأذكر هنا ما يتناسب مع موضوع البحث وينسجم معه، وهي كالآتي:

التتابع والتوالي:

قال ابن منظور رحمه الله: "وقد انْساقَت، وتَساوَقَت الإبلُ تَساوُقاً، إذا تتابعت. وكذلك تقاوَدَت فهي مُتَقاوِدة ومُتَساوِقة... والمُساوَقة: المُتابعة، كأنّ بعضَها يسوق بعضاً "[8]. ومنه سياق الكلام، فهو: تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه[9].

وتظهر علاقة هذا المعنى بموضوع البحث لأجل تساوق الألفاظ والعبارات في النص، فهي تنساق وتتساوق تساوقا في إشارة إلى تتابعها، وتتابع الألفاظ مقصود في النص، ومن دونه لا يعدُّ النص نصا، فهو

---

[4] ينظر **النهاية في غريب الحديث والأثر**، للإمام أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير: (424/2). **ولسان العرب**: (ص/2154).

[5] ينظر **معجم مقاييس اللغة**: (117/3).

[6] أخرجه **مسلم في صحيحه**، كتاب الفضائل، باب رحمة النّبيّ ﷺ للنساء وأمر السوّاق مطاياهنّ بالرّفق بهنّ، حديث رقم: [2323].

[7] ينظر **لسان العرب**: (ص/2154).

[8] ينظر المصدر نفسه.

[9] ينظر المعجم الوسيط: (465/1).

يُحدث زيادة في المعنى، والسياق من هذا المعنى تتحكم فيه الألفاظ التي يسوق بعضها بعضا، والكل مأخوذٌ حسا وتجربة من الإبل حين تتساوق وتتابع[10].

موضع البيع:

قال الراغب الأصفهاني: "السوق: الموضع الذي يجلب إليه المتاع للبيع"[11]. وقال ابن منظور: "والسُّوق موضع البياعات... والجمع أسواق... وتسوق القوم: إذا باعوا واشتروا"[12].

وتظهر علاقة هذا المعنى بموضوع البحث لأجل أنّ النّص بالنسبة للباحث هو سوق للبيع والشراء، فكما يُختار من السوق ما فيه الحاجة إليه وفق قانون وآداب السوق، فكذلك يفعل الباحث مع النص، ذلك أن المعاني هي بضائع معروضة، ولها مناحي عديدة، تنتظر من يجيد تطبيق منهجية السياق عليها وفق شروط وقواعد علمية، مبنية على حسن الانتقاء والفحص والتحليل[13].

النزع عند الموت:

قال ابن منظور: "وساق بنفسه سياقا: نزع بها عند الموت. تقول: رأيتُ فلانا يسوق سُوُوقًا، أي ينزع نزعا عند الموت... ويقال: فلان في السِّياق، أي: في النزع... والسياق: نزع الروح، وفي الحديث: دخل سعيد على عثمان وهو في السوق، أي: النزع، كأن روحه تساق لتخرج من بدنه"[14].

وتظهر علاقة هذا المعنى أيضا بموضوع البحث لأجل أنّ الروح بالنسبة للجسد، كالمعنى بالنسبة لسياق النص الحديثي، فكما تستخلص الروح من جسدها بنوع من الشدة، كذلك الأمر بالنسبة للمعنى، فإنّه يستخلص من سياق النص ببذل الجهد، واستفراغ الوسع[15].

ثانيا: التعريف الاصطلاحي.

قبل الحديث عن السياق في الاصطلاح، أودّ التنبيه على أن هذا المصطلح وما جاء في معناه كان مألوفا لدى الطبقات الأولى من علماء الإسلام، وكَثُرَ استعماله في استدلالاتهم ونظرهم الفقهي، والتنويه بأهميته وبيان آثاره في كشف المعاني والترجيح[16]، إلا أنّهم لم يعرفوه في الناحية الاصطلاحية مثل ما فعل المتأخرون منهم، كما سيأتي بيان ذلك في ثنايا البحث[17]، وقد أشار الحافظ ابن دقيق العيد إلى عدم اهتمام الأقدمين بالتنظير والتقعيد لهذا الجانب، فقال رحمه الله :"لم أر من تعرض لها في أصول الفقه بالكلام عليها، وتقرير قاعدتها مطولة، إلا بعض المتأخرين ممّن أدركنا أصحابهم"[18]. ولعل سبب إعراضهم عن ذكر التعريف راجع إلى عنايتهم بالجانب التطبيقي دون النظري.

---

[10] ينظر: **خطة السياق ومحاولة تطبيقها على النص الحديثي**، للدكتور محمد خروبات: (ص/4-5).

[11] **مفردات ألفاظ القرآن**: (ص/436).

[12] **لسان العرب**: (ص/2154).

[13] ينظر: **خطة السياق ومحاولة تطبيقها على النص الحديثي**: (ص/5).

[14] **لسان العرب**: (ص/2154). ويراجع **النهاية في غريب الحديث والأثر**: (424/2).

[15] ينظر: **خطة السياق ومحاولة تطبيقها على النص الحديثي**: (ص/6).

[16] كما فعل الإمام الشافعي، فقال رحمه الله: "فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر، ويُستغنى بأول هذا منه عن آخره. وعاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص، فيُستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وعاما ظاهرا يراد به الخاص، وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره، فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره". **الرسالة**: (ص/51-52). كما أفرد: (ص/62) بابا سماه: (باب الصنف الذي يبيّن سياقه معنا)، وساق أمثلة على بيان دلالة السياق للمعنى. ينظر: **السياق عند المحدثين منهجا متكاملا لفهم الحديث النبوي**، للدكتور أبي بكر كافي: (ص/54). ولعل الإمام الشافعي أول من صرح بمصطلح السياق، ومراده طريقة تتابع الكلام والغرض منه.

[17] ينظر: **دلالة السياق**، للدكتور ردَّة الله بن ردَّة بن ضيف الله الطلحي: (32/1). **والسياق عند المحدثين منهجا متكاملا لفهم الحديث النبوي**، للدكتور أبي بكر كافي: (ص/54)، **والسياق وأثره في فقه الحديث النبوي**، للدكتور أمير شريبط: (ص/354).

[18] **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، للعلامة ابن دقيق العيد: (232/2).

و(السياق) من المصطلحات العصية على التحديد الدقيق من الجانب الاصطلاحي على وجه العموم[19]، وقد ذكر الدكتور طه عبد الرحمن أنّه بحث في كثير من المقالات من أجل العثور على بعض التعريفات، فلم يجد تعريفا محددا للسياق[20]، ذلك أنّ التعاريف تنوعت لاختلاف زاوية النظر، فاستعمله أهل الدلالة والبيان، والأصوليون، والفقهاء، والمفسرون، والمحدثون، إلاّ أنّ كل طائفة كانت لها العناية بالسياق، وجعلته مرتكزا لها في التوجيه والترجيح.

ولعل الإمام ابن دقيق العيد أول من أشار إلى تعريف مصطلح السياق من خلال الحديث عن وظيفته[21]، فقال رحمه الله: "أما السياق والقرائن: فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه، وهي المرشدة إلى بيان المجملات، وتعيين المحتملات، فاضبط هذه القاعدة، فإنها مفيدة في مواضع لا تحصى"[22]. وقال أيضا: "السياق طريق إلى بيان المجملات، وتعيين المحتملات، وتنزيل الكلام على المقصود منه، وفهم ذلك: قاعدةٌ كبيرة من قواعد أصول الفقه"[23].

وفي كلام أبي محمد القاسم السجلماسي[24] الآتي ما يفيد أن ربط أجزاء الخطاب ضرورة لفهم المقصود من الكلام، حيث قال رحمه الله: "والسياق: هو ربط القول بغرض مقصود على القصد الأول"[25].

كما أنّ الشيخ حسن العطار أشار إلى أن المراد من السياق: أن يكون الكلام مسوقا لقصد الشارع إلى معنى، يُستدل عليه بأدلة متنوعة، قد توجد ضمن المقال أو خارجة، فقال رحمه الله: "والسياق ما سيق الكلام من أجله"[26].

فمما تقدّم، ندرك أنّ كل ما يعين على الفهم، وما يحيط بالنص من عناصر لغوية، وملابسات حالية ومقامية مصاحبة للنص، يشكل نظرة شمولية للنص ذاته، وهو مدلول السياق، وهو: "إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، ومقياس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وترتبط، وبيئة لغوية تداولية، ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ"[27]، وعليه فيمكن أن نطلق مصطلح السياق "على مفهومين: **السياق اللغوي**: ويشمل ألفاظ النص وتراكيبه، و**سياق المقام أو السياق الخارجي**، متمثلا في الظروف التي أنشئ فيها الخطاب، كالزمان، والمكان، والمرسل، والمتلقي"[28].

المطلب الثاني: أهمية السياق في فهم الحديث الشريف.

---

[19] ينظر: **السياق عند علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة**، للدكتور إبراهيم أصبان: (ص/5).

[20] ينظر: **البحث اللساني والسميائي**: (ص/301-302).

[21] اهتديت إلى نص ابن دقيق العيد وما بعده من مقال: **السياق المقالي والحالي وأثرهما في توجيه الحديث النّبوي الشريف**، للأستاذ عبد الله وايني: (ص/131).

[22] **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**: (19/2).

[23] **المصدر نفسه**: (232/2).

[24] لا تعرف تفاصيل حياته، بما في ذلك تاريخ ميلاده ووفاته، كما لا نعرف شيوخه وتلاميذه، مع أن **المنزع البديع** يُعدّ من المصنفات النقدية القيمة، إلا أن معلومات أفادت أنّه سنة (704هـ) كان يتولى التدريس، حيث فرغ من تأليف كتاب **المنزع البديع**، وكان ذلك في زمن الدولة المرينية. ينظر مقدمة تحقيق المنزع البديع، ومقدمة **السجلماسي وكتابه المنزع البديع في تجنيس الأساليب**، للدكتور عبد القادر هني: (ص/109-137)، و**أبو محمد السجلماسي وكتابه المنزع البديع**، للأستاذ سعيد أعراب: (ص/53).

[25] **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع**، لأبي محمد القاسم السجلماسي: (ص/188). ويراجع: **دلالة السياق**، للدكتور رَدَّة الله بن رَدَّة بن ضيف الله الطلحي: (38/1)، و**السياق المقالي والحالي وأثرهما في توجيه الحديث النّبوي الشريف**: (ص/131).

[26] **حاشية العطار على جمع الجوامع**، للعلامة الشيخ حسن العطار: (320/1).

[27] ينظر: **أثر السياق في فهم النص القرآني**، للدكتور عبد الرحمن بودرع: (ص/73). ويراجع: **السياق عند المحدثين منهجا متكاملا لفهم الحديث النبوي**، للدكتور أبي بكر كافي: (ص/54).

[28] ينظر: **أثر السياق في توجيه دلالة الحديث النبوي الشريف – أحاديث مختارة -**، للدكتورة سامية محصول: (ص/410).

من قلَّب صفحات الفكر، ودقَّق النظر في تصرفات علماء الحديث، وجد عناية فائقة بأمرين هامين عظيمين، **الأول**: نفي الدخيل عن الحديث النبوي الشريف، فنشأت حركة النقد بشقيه: نقد الرواة، ونقد المرويات، فأُلِّفت كتب في **الجرح والتعديل**، وبيان مراتب رواة الحديث، وأخرى في **العلل ونقد الروايات**. **والأمر الثاني**: وضع الضوابط والقواعد التي تضمن الفهم الصحيح للحديث النبوي الشريف، فأنشئت علومٌ مختلفة لخدمة هذا الجانب، فظهر **علم مختلِف الحديث ومشكِله**، ومادته تولدت من رَحم أصول الفقه، و**علم الناسخ والمنسوخ**، و**علم أسباب ورود الحديث**، و**علم غريب الحديث**. كما ظهر اهتمام المحدثين بالسياق في التعامل مع الأحاديث النبوية، لما لهذا المسلك الجليل من أهمية بالغة في تحقيق الفهم الصحيح أيضا، فالسياق في مصنفاتهم لا يكاد يغيب، فقد اجتهدوا في تقليب الروايات، ومقابلة بعضها ببعض، ولاحظوا أنّ السياق قد يرشد إلى تبيين مجملٍ، أو تخصيص عامٍ، أو تقييد مطلقٍ، وهذا من صميم علم مختلف الحديث[29].

فالسياق من الأدوات المنهجية الجليلة التي يتعين على شارح الحديث أن يتسلح به، ومعرفته أمر ضروري للوقوف على المعنى الدقيق المقصود من الحديث النبوي، وهو قاعدة مهمة نصّ عليها الأئمة رحمهم الله، وطبقوها في تعاملهم مع النصوص، وفيما يلي أقوال لأئمة الإسلام في بيان أهمية السياق:

قال الإمام الشافعي رحمه الله: "فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر، ويستغني بأول هذا منه عن آخره، وعاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وعاما ظاهرا يراد به الخاص، وظاهر يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره، فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره، وتبتدئ الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله، وتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ كما تعرف الإشارة، ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها لانفراد أهل علمها به دون أهل جهالتها، وتسمي الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة، وتسمي بالاسم الواحد المعاني الكثرة، هذه الوجوه التي وصفت اجتماعها في معرفة أهل العلم منها به، وإن اختلفت أسباب معرفتها معرفة واضحة عندها ومستنكرا عند غيرها ممن جهل هذا من لسانها، وبلسانها نزل الكتاب وجاءت السنة، فتكلف القول في علمها تكلف ما يجهل بعضه، ومن تكلف ما جهل وما لم تثبته معرفته كانت موافقته للصواب إن وافقه من حيث لا يعرفه غير محمودة"[30].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض الحديث عن الطريقة الصحيحة في الاستدلال: "ينظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه، وما يبين معناه من القرآن والدلالات، فهذا أصل عظيم مهم نافع في باب فهم الكتاب والسنة والاستدلال بهما مطلقا، ونافع في معرفة الاستدلال، والاعتراض، والجواب، وطرد الدليل ونقضه، فهو نافع في كل علم خبري أو إنشائي، وفي كل استدلال أو معارضة: من الكتاب والسنة وفي سائر أدلة الخلق"[31].

وقال الحافظ تقي الدين ابن دقيق العيد رحمه الله: "السياق طريق إلى بيان المجملات، وتعيين المحتملات، وتنزيل الكلام على المقصود منه، وفهم ذلك قاعدة كبيرة من قواعد أصول الفقه... وهي قاعدة متعينة على الناظر"[32].

---

[29] ينظر: **البرهان في علوم القرآن**، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم: (201/2).

[30] **كتاب الرسالة**، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: (ص/51).

[31] **مجموع الفتاوي**، لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني: (15/6).

[32] ينظر: **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**: (19/2).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: "السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة "[33].

المبحث الثاني: التعريف بابن قرقول الوهراني وكتابه مطالع الأنوار على صحاح الآثار.

خصصت هذا المبحث للتعريف بالإمام ابن قرقول وكتابه المطالع، وذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: التعريف بابن قرقول.

هو أبو إسحاق، إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم[34] بن عبد الله بن باديس بن القائد، القائدي، الحمزي، الوهراني.

القائدي: نسبة إلى جده القائد الوارد في نسبه.

الحمزي. قال ابن الآبار: "كذا قرأت اسمه بخطّه"[35]. المعروف بابن قُرْقُول. **والحمزي**: نسبة إلى حمزة، ذكر ابن دحية ابن قرقول أنها تقع على مقربة من أشير[36]، وأفاد ياقوت الحموي أنّ الطريق من أشير يحمل إلى الآفاق، وهناك مدينة تسمى حمزة، بناها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب. وأبوه الحسن بن سليمان هو الذي دخل المغرب، وكان له من البنين حمزة هذا، وعبد الله، وإبراهيم، وأحمد، ومحمد، والقاسم، وكلّهم أعقب هناك[37]. وذكر ابن خلكان عن جماعة من أهل تلك البلاد أنها حمزة آشير بالمدّ[38]، بليدة بإفريقية، ما بين **بجاية** وقلعة **بني حماد**[39]، وعن ابن الآبار أنها بناحية **المسيلة** عَمَلِ **بجاية**[40]، وقلعة بني حماد شيّدت على منحدر وعر فوق جبل تقربوست[41]، على الحدود الشمالية لسهول الحضنة، بين خطي طول 5 درجة شرقا، وخط 36 درجة جنوبا، وعلى بعد 36 كلم شرق مدينة المسيلة عاصمة الإقليم حاليا، وبالتحديد ببلدية المعاضيد، دائرة أولاد درَّاج حاليا، وغير بعيدة من ولاية برج بوعريريج ومدينة برج غدير[42]، وهذا يعني أن حمزة التي استوطنها ابن قرقول كانت بين ولاية بجاية وولاية المسيلة، وهي إلى المسيلة أقرب، لقول ابن الآبار المتقدم، والله أعلم. وأنبه بهذه المناسبة على أن كتب التراجم لم تحدثنا عن تفاصيل هذه النسبة، ولا عن زمن انتقاله إلى مدينة حمزة.

والوهراني: نسبة إلى مدينة وهران المشهورة، وموقعها بأقصى غرب الجزائر[43]، ولم تذكر لنا أيضا كتب التراجم تفاصيل هذه النسبة.

---

[33] **بدائع الفوائد**: (815/4).

[34] وقع عند الزركلي: إبراهيم بن يوسف بن أدهم، فجعل اسم جدّه: أدهم، بدل إبراهيم. وقد تفرد بذلك. ينظر **الأعلام**: (81/1).

[35] **التكملة لكتاب الصلة**، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي، المعروف بابن الآبار: (267/1).

[36] ينظر: **المطرب من أشعار أهل المغرب**، لأبي الخطاب عمر بن الحسن، المعروف بابن دحية: (ص/225).

[37] ينظر: **معجم البلدان**، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: (302/2).

[38] ذكر ابن خلكان أن الأمير زيري بن مناد الصنهاجي هو من بنى هذه البلدة. ينظر: **وفيات الأعيان**: (343/2).

[39] ينظر المصدر نفسه (62/1).

[40] **التكملة لكتاب الصلة**: (267/1).

[41] وسمي أيضا جبال عجيسة، وفي الوقت الحاضر يسمى جبل المعاضيد. ينظر: **جوانب من حضارة قلعة بني حماد وبجاية**، للدكتور غرداوي نور الدين: (ص/101).

[42] ينظر: **انتقال الحمّاديين من القلعة إلى بجاية – دراسة في الأسباب والنتائج**، للدكتور خالد حموم: (ص/534)، **والحياة الاقتصادية والثقافية لقلعة بني حماد**، للدكتور سعودي أحمد: (ص/137). ويقول ...: "نستطيع أن نطمئن إلى أن خرائب القلعة المتبقية قائمة على بعد 31 كيلومترا جنوبي محطة سكة حديد برج بوعريريج، وعلى بعد نيف وعشرين مترا شمال شرق مدينة المسيلة، وعلى بعد 15 كيلومترا شرق برج الغدير".

[43] قال محقق مطالع الأنوار طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر: (34/1) هامش: (2): "هي بلدة بعروة الأندلس في الأرض المتصلة بالقيروان". ونسب هذا الكلام إلى الإمام أبي سعد عبد الكريم السمعاني في كتاب **الأنساب**: (620/5). وهذا بعيد عن الواقع.

وذكر تلميذ ابنِ قرقول ابنُ دحية أنّ شيخَه ولد بمدينة المرية (Almeria) بالأندلس سنة (505هـ)[44]، وهذا التاريخ يوافق سنة (1111م).

ولم تذكر لنا كتب التراجم معلومات عن أسرته وتفاصيل نشأته، إلاّ أنها نصت على أنه نشأ بمدينة المرية (Almeria)، وبها سمع من جدّه لأمّه أبي القاسم بن الورد (ت540هـ)[45]، وزوج أمِّه أبي الحسن بن نافع (ت532هـ)[46]، والظاهر أن ابن قرقول نشأ يتيم الأب، وقد أحاطه جده وزوج أمه بعناية فائقة، وأرشداه إلى طلب العلم منذ الصغر، الأمر الذي يدعونا إلى تشكيل فكرة حول تكوينه العلمي، من حفظ للقرآن الكريم، وتعلم مبادئ اللغة العربية وفنونها، وما يحلها من علوم تقيم لسانه، كما جرت عليه عادة تلك العصور[47].

ولما كان ابن قرقول رحمه الله حريصا على لقاء الشيوخ، رحل في طلب العلم كثيرا، فسمع الكثير من جماعة كبيرة، وطائفة جليلة[48]، كأبي بكر ابن العربي الإمام، والقاضي عياض[49]، وطوف بلاد الأندلس والمغرب العربي، وكانت الأندلس في تلك الفترة تحت حكم المرابطين، الذين حظي أهل المعرفة عندهم بمكانة مرموقة[50]، فأطال المكث في مالقة (Malaga) إلى أن انتقل منها إلى سبتة في سنة (564هـ)، ثم إلى سلا، ثم إلى فاس، فحصل علوما كثيرة وفنونا مختلفة، ثم تصدّر للإفادة[51]. ويحدثنا ابن دحية عن شغف شيخه ابن قرقول بالعلم والرحلة في سبيل تحصيله من أفواه العلماء، فيقول: "قرأ حديث رسول الله ﷺ وأتقنه على أبي جعفر ابن عَزْلون (ت520هـ)[52] صاحب القاضي أبي الوليد الباجي، وعلى القاضي الإمام أبي القاسم ابن ورد (ت540هـ)[53]، وروى صحيح مسلم عن أبي عبد الله بن زُغَيْبَة الكلابي (528هـ)[54]... ورحل إلى شرق الأندلس للقاء الأستاذ العالم إمام النحو والآداب، والشارح للحديث والفقه والأصول والأنساب، أبي محمد عبد الله بن محمد بن السيِّد البطليوسي (ت521هـ)[55]، فقرأ عليه كتاب التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة[56]، وهو كتاب حسن... وشويخ شيخنا جملة عديدة"[57].

---

[44] ينظر: **المطرب من أشعار أهل المغرب**: (ص/225).

[45] هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن عمر التميمي، يعرف بابن الورد. ينظر ترجمته: **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي: (ص/167) ترجمة رقم: [262].

[46] ينظر: **التكملة لكتاب الصلة**: (267/1). كما استفاد ابن قرقول قطعا من العلماء الذين سكنوا المرية واستوطنوها، فقد جرت عادة أهل العلم الأخذ عن علماء البلد قبل الرحلة. ينظر: مقدمة تحقيق المطالع، للدكتور طه بن علي بوسريح: (10/1). وابن نافع هو: علي بن محمد بن مروان الجذامي. ينظر ترجمته: **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**: (ص/419).

[47] ينظر: مقدمة تحقيق المطالع، للدكتور طه بن علي بوسريح: (8/1).

[48] ينظر: **التكملة لكتاب الصلة**: (267/1)، **وسير أعلام النبلاء**: (520/20)، **والوافي بالوفيات**، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: (109/6).

[49] ذكرهما ابن الآبار في **التكملة لكتاب الصلة**: (267/1-268).

[50] ينظر: مقدمة تحقيق المطالع، للدكتور طه بن علي بوسريح: (9/1).

[51] ينظر: **التكملة لكتاب الصلة**: (268/1)، **وسير أعلام النبلاء**: (521/20)، وبراجع: مقدمة تحقيق المطالع، للدكتور طه بن علي بوسريح: (9/1).

[52] هو أبو جعفر أحمد بن علي بن عزلون الأموي الطليطلي. وعند ابن بشكوال: (غزلون). ينظر ترجمته: **الصلة**، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك الخزرجي الأنصاري: (131/1) ترجمة رقم: [169].

[53] هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن عمر التميمي، يعرف بابن ورد. ينظر ترجمته: **الصلة**: (137/1) ترجمة رقم: [177].

[54] هو محمد بن عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكلابي أبو عبد الله، المعروف بابن زُغَيْبَة. ينظر ترجمته: **الصلة**: (843/3)، **وفهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، للعلامة عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: (464/1).

[55] ينظر ترجمته: **ترجمة ابن عطية**، للإمام القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية المحاربي الأندلسي: (ص/141) ترجمة رقم: [29]. **وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: (55/2).

[56] طبع الكتاب بعنوان: **(التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم ومذاهبهم واعتقاداتهم)**. بدار الاعتصام القاهرة، ط1 (1398هـ-1987م)، بتحقيق الدكتور أحمد حسن كحيل، والدكتور حمزة عبد الله النشرتي. كما طبع أيضا بعنوان: **(الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم)**. بدرا الفكر، دمشق سورية، ط2 (1403هـ-1983م)، بتحقيق الدكتور محمد رضوان الداية.

وأما تلاميذ ابن قرقول فخلق كثير، ومن أماكن مختلفة، نهلوا من منهله الصافي، وبه تضلعوا، وقد ذكر الحافظ الذهبيُّ اثنين: يوسفَ بنَ محمد بن الشيخ (ت604هـ)[58]، وعبدَ العزيز بنَ علي السُّمَاتي (ت624هـ)[59]، ومنهم أيضا: أبو بكر بن خلف الأنصاري القرطبي القاضي، يعرف بالمواق (ت599هـ)[60]، وأبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البكري (ت611هـ)[61]، وعمر بن حسن بن دحية أبو الخطاب (ت633هـ)[62]، ومحمد بن عبد الله بن طاهر الحسيني الشريف (ت608هـ)[63].

كان ابن قرقول الوهراني من الأفاضل، وقد أثنى عليه أهل المشرق والمغرب، فقد نعته تلميذه ابن دحية بالفقيه، الإمام، المحدث، الأصولي، النحوي، اللغوي، كما أثنى عليه ابن الآبار، وشهد له بطول الرحلة، والحرص على لقاء الشيوخ، وإتقان الحديث، والتبصر في مراتب الرجال، مع براعة الخط، وأما الحافظ الذهبي فقد بالغ في مدح ابن قرقول، ولم يجد له وصفا يوفيه حقه إلا أنّه من أوعية العلم[64].

كما كان ابن قرقول صاحب تواليف[65]، رواها عنه تلميذه يوسف بن محمد بن الشيخ[66]، وقد وصفها ابن دحية بأنها متقنة مفيدة[67]، وغالب من ترجم لابن قرقول لم يذكر إلا كتاب **(المطالع)**، بينما ذكر له ابن ناصر الدين الدمشقي مختصرا لجامع الترمذي[68]، وقد أفاد الدكتور طه بوسريح أن من ضمن موارد ابن الزبير (ت708هـ) في كتابه **(صلة الصلة)**: **(كتاب المشيخة)** لابن قرقول، ذكر فيه أسماء شيوخه، وبخاصة أن ابن قرقول وُصف بكثرة الترحال والحرص على لقاء الشيوخ كما تقدم[69].

توفي ابن قرقول الوهراني وله أربع وستون سنة بمدينة فاس عند العصر من يوم الجمعة، السادس من شهر شعبان – وقيل: في شوال - سنة تسع وستين وخمسمائة (569هـ-1174م)، وقد ذكروا أنّه صلى الجمعة في الجامع ذلك اليوم، فلما حضرته الوفاة تلا سورة الإخلاص وجعل يكررها بسرعة، ثم تشهد ثلاث مرات، وسقط على وجهه ساجدا، فوقع ميتا رحمه الله تعالى[70].

المطلب الثاني: التعريف بمطالع الأنوار، ووصف عام للكتاب.

صنف الإمام ابن قرقول كتاب **(مطالع الأنوار على صحاح الآثار)**، قصد فيه على الصحيح تنقيح كتاب شيخه القاضي عياض **(مشارق الأنوار على صحاح الآثار)**[71]، وهو عبارة عن تفسيرٍ لغريب الحديث

---

[57] **المطرب من أشعار أهل المغرب**: (ص/225-226). وللوقوف على طائفة أخرى من شيوخه، يمكن الرجوع إلى: **سير أعلام النبلاء**: (520/20)، **والتكملة لكتاب الصلة**: (267/1). وأنبه بهذه المناسبة أن ترجمة ابن قرقول وردت في كتاب **شذرات الذهب** لابن العماد الحنبلي في موضوعين، الأول في (382/6)، والثاني: (5573/7)، وقد وهم في الموضع الثاني، حيث قال: "إبراهيم بن يوسف الحموي". والظاهر أن هذا تصحيف لـ: (الحمزي)، كما ذكر أن سنة وفاة ابن قرقول هي (669هـ). وكان الأولى أن ينبه محقق كتاب الشذرات على هذا الوهم.

[58] ذكره في **السير**: (520/20). وترجمته أيضا فيه: (479/21).

[59] ذكره أيضا في **السير**: (520/20). وترجمته في **تاريخ الإسلام** للذهبي: (199/45)، **والوافي بالوفيات**: (530/18).

[60] ترجم له الذهبي في **تاريخ الإسلام**: (423/42) ترجمة رقم: [551]، والصفدي في **الوافي بالوفيات**: (230/10)، وذكرا أنه سمع من ابن قرقول.

[61] ترجم له ابن الآبار في **التكملة لكتاب الصلة**: (205/1) ترجمة رقم: [269]، وذكر أنه سمع من ابن قرقول.

[62] ترجمته في **السير**: (389/22). وذكر ابن دحية في **المطرب من أشعار أهل المغرب**: (ص/226) أن شيخه ابن قرقول أجازه في جميع مروياته.

[63] ترجمته في **السير**: (479/21). وذكر أنه سمع من ابن قرقول. وللوقوف على مزيد من تلاميذ ابن قرقول، يراجع مقدمة تحقيق المطالع بطبعتها: طبعة ابن حزم، وطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

[64] ينظر: **المطرب من أشعار أهل المغرب**: (ص/224-226)، **والتكملة لكتاب الصلة**: (268/1)، **وسير أعلام النبلاء**: (520/20).

[65] ينظر: **المشتبه في الرجال**، للحافظ أبي عبد الله شمس الدين الذهبي: (174/1).

[66] ينظر: **تكملة الإكمال**، للحافظ أبي بكر محمد بن عبد الغني البغدادي، المعروف بابن نقطة: (153/2).

[67] ينظر: **التبيان لبديعة البيان**، للإمام ابن ناصر الدين الدمشقي: (1351/3).

[68] ينظر: **المطرب من أشعار أهل المغرب**: (ص/226).

[69] ينظر: مقدمة تحقيق المطالع: (44/1).

[70] ينظر: **المطرب من أشعار أهل المغرب**: (ص/225)، **والتكملة لكتاب الصلة**: (268/1)، **وسير أعلام النبلاء**: (521/20).

[71] ينظر: مقدمة تحقيق المطالع طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر: (75/1-82).

الواقع في الصحيحين وموطأ الإمام مالك، وقد جمع فيه بين ضبط الألفاظ واختلاف الروايات وبيان المعنى[72].

وكتاب **(المطالع)** – مع كونه على منوال كتاب **(المشارق)** إلاّ أنّه غزير الفوائد[73]، والناظر فيه يجد ابن قرقول قد انتهج طريقة شيخه في **(المشارق)**، أعرضها في النقاط الآتية[74]:

- تبع ابن قرقول القاضي عياض في تقسيم الكتاب إلى أبواب وفق حروف المعجم بحسب ترتيب أهل الغرب الإسلامي والأندلس[75]، كما قام بترتيب تلك الحروف داخل الأبواب ترتيبا معجميا، ويلاحظ أنه لم يلتزم هذا الترتيب في كثير من مواضع[76]، ثم تحت كل حرف ذكر أوهام الرواة واختلافاتهم، تم أورد فصولا حوت على مشكل الأسماء والكنى، وذكر الأماكن والبقاع، وقد يضيف فصولا أخرى إن توفرت لديه المادة العلمية. وقبل ذلك افتتح كتابه بمقدمة بين فيها الجهد الذي قام به المحدثون لحفظ سنة النّبيّ ﷺ، وحراستها من التبديل والتغيير، ومال رحمه الله إلى ضرورة سدّ باب نقل الحديث على المعنى مخافة تغير المسموع، ولدعائه ﷺ بالنضرة لمن سمع قوله فأدّاه على حَسَب ما وعاه[77]،

- حرص الإمام ابن قرقول على تغيير عناوين الفصول التي أوردها القاضي عياض في **(المشارق)** ولو بحذف حرف[78].

- قام بتقديم وتأخير في كلام القاضي عياض بما يراه مناسبا، وأيضا اختصر المادة العلمية وقد كان ذلك من مقاصد تأليف **(المطالع)**[79]، كما استدرك فيه على شيخه عياض، وأصلح ما ناله من أوهام[80].

وكتاب **(المطالع)** نال شهرة فاقت شهرة **(المشارق)**، لذا اهتم به أهل العلم عبد الأزمان، وقد تتبعت مواطن الاحتجاج بالكتاب عند طائفة منهم، فوجدتهم قد اقتبسوا من كلامه ونقلوا عنه الشيء الكثير، وفيما يلي سردٌ لأسمائهم وعناوين كتبهم: العلامة أبو بكر ابن العربي المالكي (ت543هـ) في **المسالك في شرح موطأ مالك**[81]، والإمام علاء الدين ابن العطار (ت724هـ) في **العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام**[82]، والإمام أبو الفتح ابن سيد الناس اليعمري (ت734هـ) في **نفح الشذي في شرح جامع الترمذي**[83]، والعلامة علاء الدين مغلطاي (ت762هـ) في **شرح سنن ابن ماجه**[84]، والعلامة شمس الدين

---

[72] ينظر: المرجع نفسه: (119/1).

[73] ينظر: **سير أعلام النبلاء**: (520/20).

[74] اعتمدت في إعداد هذا الوصف على مقدمة تحقيق الدكتور طه بوسرح: (57/1-63).

[75] كان لأهل المغرب والأندلس ترتيب للحروف الهجائية غير ترتيب المشارقة، فيتحدون جميعا إلى حرف (الزاي)، وبعده عند المشارقة يأتي: (س-ش-ص-ض-ط-ظ-ع-غ-ف-ق-ك-ل-م-ن-هـ-و-لا-ي)، بينما أهل المغرب والأندلس يأتي بعد حرف (الزاي): (ط-ظ-ك-ل-م-ن-ص-ض-ع-غ-ف-ق-س-ش-هـ-و-لا-ي). كما يختلفون في ترتيب الحروف الأبجدية. ينظر: **ترتيب الحروف الأبجدية بين المشارقة والمغاربة**، للدكتور عبد الهادي التازي: (ص/197).

[76] ينظر على سبيل المثال النسخة التي حققها الدكتور طه بوسريح: (10/1-11)، (156/1)، (5/2-6)، (34/2-35)، (124/2-125)، (48/3).

[77] لما رواه عبد الله بن مسعود τ،

[78] يمكن مقارنة المشارق: (11/1) والمطالع: (17/1)، أيضا المشارق: (12/1-13-14) والمطالع: (36/1).

[79] يمكن مقارنة المشارق: (201/1) والمطالع: (232/2و234).

[80] ينظر: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، للعلامة مصطفى بن عبد الله، المشهور بحاجي خليفة: (1710/2). ويراجع مقدمة تحقيق المطالع طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر: (119/1-120).

[81] ينظر: (148/1).

[82] ينظر: (74/1)، (947/2).

[83] ينظر: (94/1-333-334).

[84] ينظر: (1577/1).

الكرماني (ت786هـ) في **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**[85]، والإمام سراج الدين ابن الملقن (ت804هـ) في **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**[86]، والإمام بدر الدين ابن الدماميني (ت827هـ) في **مصابيح الجامع**[87]، وشمس الدين البِرْماوي (ت831هـ) في **اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح**[88]، والإمام شهاب الدين أبو العباس ابن رسلان (ت844هـ) في **شرح سنن أبي داود**[89]، والحافظ ابن حجر العسقلاني (ت852هـ) في **فتح الباري شرح صحيح البخاري**[90]، والإمام بدر الدين العيني (ت855هـ) في **شرح سنن أبي داود، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، ونخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار**[91]، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت902هـ) في **التجريد على التنقيح**[92]، والحافظ أبو بكر السيوطي (ت911هـ) في **تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، وشرح سنن النسائي، والتوشيح شرح الجامع الصحيح**[93]، والعلامة أبو العباس القسطلاني (ت923هـ) في **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**[94]، والعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي (ت1031هـ) في **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**[95]، والعلامة محمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت1122هـ) في **شرحه على وموطأ مالك**[96]، والعلامة محمد شمس الحق العظيم آبادي (ت1329هـ) في **عون المعبود شرح سنن أبي داود**[97]، ومحمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (ت1354هـ) في **كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري**[98]، ومحمد بن علي بن آدم الإثيوبي (ت1442هـ) في شرح سنن النسائي المسمى: **بذخيرة العقبى في شرح المجتبى**[99].

بالإضافة إلى استفادة أهل العلم من كتاب **(المطالع)**، فقد عمد بعضهم إلى اختصاره أو تهذيبه، كالقاضي ركن الدين أحمد بن محمد القرمي الحنفي (ت783هـ)[100]، ونور الدين أبي الثناء محمود بن

---

[85] ينظر: (54/23)، (234-206/24)، (195-42/25).

[86] في مواضع، منها: (572-347/2)، (566-290/4)، (360-239/5)، (456-26/6)، (589-92/7)، (101-59/8)، (308-49/21)، (168-45/23)، (205-51/26)، (601-11/33).

[87] ينظر: (379-243/2)، (297/4)، (45/5)، (209/6)، (167/7)، (396/8)، (203/10).

[88] ينظر: (173/4)، (52/10)، (414/12)، (65/16)، (373-140-104/17-).

[89] ينظر: (221-10/1)، (532/5)، (277/7)، (231/13).

[90] في مواضع كثيرة، ينظر على سبيل المثال: (486-369-101/1)، (374-152/2)، (527-406-120/3)، (456-310-230/4)، (299-242-48/5)، (597-184-59/6)، (532-252-17/9).

[91] ينظر: شرح أبي داود: (466/2)، (283/3)، (406/4)، وعمدة القاري في مواضع كثيرة، منها: (124/1)، (425-330-150/2)، (141/3)، (55/24)، (39/25)، ونخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار: (152/1)، (438/2)، (24/4)، (281/5)، (161/6)، (304-116/7)، (182/8)، (517-404-39-35/9)، (473/12)، (58/16).

[92] ينظر: (256/2).

[93] ينظر: تنوير الحوالك: (63/1)، وشرح النسائي: (24/4)، والتوشيح: (538/2)، (2169/5).

[94] في مواضع كثيرة، ينظر على سبيل المثال: (470-358/1)، (322-11/2)، (216-24/4)، (180-38/5)، (235-60/8)، (335-333/9)، (394-259/10).

[95] ينظر: (475/4)، (421/5).

[96] ينظر: (438-94/1)، (18/3)، (350-111/4).

[97] ينظر: (290/3).

[98] ينظر: (484-463/6)، (390/7)، (413/8)، (330-323/9)، (39/10)، (415/12)، (351-244-74/13).

[99] ينظر: (90/2)، (411/3)، (529/5)، (565/9)، (171/10)، (24/12)، (358/18)، (191/40).

[100] وسماه: (منتخب المطالع). ذكره الدكتور طه بوسريح في مقدمة تحقيق المطالع للدكتور طه بوسريح: (53/1).

أحمد المعروف بابن خطيب الدهشة (ت834هـ)[101]، وأبي محمد عبد العزيز بن محمود بن عبد الرحمن المعروف بالعصّار[102]،كما نظمه محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي البعلي (ت774هـ)[103].

المبحث الثالث: اعتماد ابن قرقول الوهراني السياق في فهم الحديث، والترجيح، وبيان العلة.

لقد أعمل الإمام ابن قرقول الوهراني السياق في جوانب ثلاثة: الأول: في فهم الحديث النبوي الشريف، وإعطاء كل لفظة مقامها المناسب لها بحسب ورودها في الحديث وعلاقتها بما يسبقها أو يتلوها من ألفاظ، والثاني: في الترجيح والتقديم، والثالث: بيان العلة والوهم، وهذا ما سنبينه في هذا المبحث، في مطالب ثلاثة.

كما نبه ابن قرقول على أنّ تجاهل السياق يؤدي إلى تحريف المراد من الحديث في مواضع كثيرة من كتاب المطالع، ومن ذلك إيراده حديث ثعلبة بن أبي مالك القرظي، أنّ قيس بن سعد الأنصاري τ - وكان من أصحاب لواء رسول الله ﷺ - أراد الحجّ فَرَجَّلَ[104]، ثمَّ قال: "هاهنا لم يزد في الحديث على هذا وهو مختصر، وتمامه: **فَرَجَّلَ أَحَدَ شِقَّي رَأْسِهِ**، وقد تاه في تفسيره بعض الشارحين لما لم يقف على تمامه من غير هذا الموضع، فحمَّله من الشرح على ما لا يحتمله"[105].

وقد يدل سياق الكلام على قبول الوجهين المختلفين عند ابن قرقول رحمه الله، ومن أمثلة ذلك قوله[106]: "وفي حديث عبد اللهِ بْنِ أُبَيّ: **«فَلَمَّا أَبَى اللهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي جِئْتُ بِهِ»**[107]، كذا لكافة الرواة، وعند الأصيلي: **«فَلَمَّا أَتَى اللهُ بِالْحَقِّ»** بإسقاط: "ذَلِكَ" من الكلام، وكلاهما له وجه؛ فمعنى الأول: أبى الله تقديمه وأمضى ذلك له بما قضاه من إسلام قومه وبعث نبيه، يدلُّ على ذلك قولهم: "فَلَمَّا رَدَّ اللهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاك، وهو معنى "أَتَى" في الرواية الثانية". فقوله: "وكلاهما له وجه"، بالنظر إلى معنى الكلام، فالروايتان تنسجمان مع السياق عند ابن قرقول رحمه الله.

المطلب الأول: اعتماد ابن قرقول الوهراني السياق في فهم الحديث.

لقد حرص الإمام ابن قرقول على تتبع السياق وأسلوب الكلام الذي يجري عليه في الأحاديث النبوية، ليكون الحكم أدق والفهم أصح، وأن يوضع الحديث في السياق الذي جاء فيه ولا يخرج عنه، وفيما يلي أمثلة على ذلك:

1/ قال رحمه الله[108]: "وأما قوله: **«فَإِنَّهُ لِي»**[109]. قيل: لكونه من الأعمال الخفية الخالصة، أي: هو خالص لي لا يدخله رياء، أو لا يطلع عليه غالبًا بخلاف غيره من الأعمال، والأظهر في هذا الحديث أنه

---

[101] هذبه أولا في كتاب (تهذيب المطالع لترغيب المطالع)، ثم اختصره في كتاب: (التقريب في علم الغريب) ينظر: **طبقات الشافعية**، لابن قاضي شهبة: (109/4) تحقيق الدكتور الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط1 (1407هـ)، **والأعلام**، للزركلي: (7/ 162).

[102] وسماه: (مشكل الصحيحين). ذكره الدكتور طه بوسريح في المرجع المتقدم: (53/1).

[103] وسماه: (لوامع الأنوار نظم مطالع الأنوار). ينظر: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، للحافظ ابن حجر العسقلاني: (452/5).

[104] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: ما قيل في لواء النّبيّ ﷺ، حديث رقم: [2974].

[105] المطالع: (121/3 قطر) = (440/2 طه). ثم قال: "وإنما ذكر البخاري منه هاهنا فائدة الترجمة في ذكر الراية، واختصر بقيته إذ لم يكن سنة عن النّبيّ ﷺ، إنما هو فعل غيره ذكر المصنف". وقد ذكر المصنف رحمه الله أن الرواية أخرجها البخاري في باب: (راية النّبيّ ﷺ)، بينما الصحيح أنها في باب: (ما قيل في لواء النّبيّ ﷺ). واللواء غير الراية، فاللواء ما يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه، والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح. وقيل: اللواء دون الراية. وقيل: اللواء: العلم الضخم، والعلم علامة لمحل الأمير يدور معه حيث دار، والراية يتولاها صحاب الحرب. ينظر فتح الباري لابن حجر: (126/6).

[106] (1/ 177 قطر) = (29/1 طه). وينظر أيضا: (263/1 قطر) = (85/1-86 طه)، (1/ 428 قطر) = (204/1 طه)، (2/ 295 قطر) = (204/2 طه)، (285/3 قطر) = (97/3 طه).

[107] أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا﴾، برقم: [4566]، في حديث طويل من رواية أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وفيه: **«فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله»**.

[108] (274/1 قطر).

أشار إلى معرفة الأجور وأن أجور عمل ابن آدم له معلومة مقدرة، كما قال في آخر الحديث: «**الْحَسَنَةُ بعشر أمثالها إلى سبعمائة، إلا الصوم**»، فأجره غير مقدر، وإنما ذلك إلى الله يوفيه الصابر عليه بغير حساب". في هذا الحديث جنح ابن قرقول إلى ترجيح كون النّبيّ ﷺ يشير إلى معرفة الأجور وأنها معلومة مقدرة، لدلالة السياق، وهذا يظهر في قوله: "كما قال في آخر الحديث".

2/ قال رحمه الله[110]: "وفي مناقب سعد: «**مَا أَسْلَمَ أَحَدٌ إِلَّا فِي اليَوْمِ الذِي أَسْلَمْتُ فِيهِ**»[111]. كذا في جميع النسخ، قال بعضهم: صوابه إسقاط: "إِلَّا"، ولم يقل شيئاً! بل صوابه إثباتها، أي: لم يسلم أحد قبل يوم إسلامي، ودليل ذلك: قوله بعدُ: «**وَلَقَدْ بَقِيتُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَإِنِّي لَثُلُثُ الإِسْلَامِ**»، يعني والله أعلم: النّبيّ ﷺ هو وأبو بكر، ولم يعتد بعلي؛ لصغره، ولا بخديجة؛ لأنها امرأة، ولا بزيد؛ لأنه كان مولىً، وإنما عد الرجال الأحرار البالغين". فهذا التوجيه الذي رضيه ابن قرقول منطلقه سياق الحديث، يظهر ذلك في قوله: "ودليل ذلك: قوله بعدُ"[112].

3/ قال رحمه الله[113]: "حديث الإصبع: «**قَلْبُ ابْنِ آدم بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِع الرَّحْمَنِ**»[114]. الإصبع هنا صفةٌ سمعيَّةٌ لا يزاد على ذلك، وإليه ذهب أبو الحسن، وجماعة من أصحاب الحديث، وقيل: إصبع من أصابع ملائكته، أو تكون خلقًا من خلقه سماه إصبعًا، وقيل: هي كناية عن القدرة أو النعمة، وقيل: هو مثل في أنه لا تعب عليه في الأفعال وإظهار المخلوقات، كما قال: ﴿**وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ**﴾ [ق: 38]. وأما قوله في الحديث الآخر في قبض السماوات، وقوله: «**أَنَا الْمَلِكُ، وَيقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا**»[115]، ففاعل ذلك هو النّبيّ ﷺ بيده، وباقي الحديث يدل عليه، فلا يحتاج إلى تأويل أكثر من تمثيله للبسط والقبض بذلك". بين ابن قرقول رحمه الله أنّ المراد بقوله: «يقبض أصابعه ويبسطها» هو النّبيّ ﷺ وقد اعتمد على هذا التوجيه بسياق الحديث في قوله: وباقي الحديث يدل عليه، ولهذا قال عبد الله بن مقسم، راوي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: نظرت إلى ابن عمر كيف يحكى رسول الله ﷺ، قال:

---

[109] أخرجه البخاري كتاب الصوم، باب: هل يقول إني صائم إذا شُتم، برقم: [1904]، ومسلم كتاب الصيام، باب: فضل الصيام، برقم: [1151]، من حديث أبي هريرة τ، وتمامه: «**كل عمل بن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عزّ وجلّ: إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك**». واللفظ للإمام مسلم.

[110] (282/1 قطر).

[111] أخرجه البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري، برقم: [3727]، وفي كتاب مناقب الأنصار، باب: إسلام سعد بن أبي وقاص τ، برقم: [3858]، عنه τ، وتمامه: «**ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام**».

[112] ينظر ابن حجر، فتح الباري: (84/7).

[113] (326/1 قطر). وينظر أيضا: (342/1 قطر) = (129/1 طه)، (476/1 قطر)، (532/1 قطر) = (292/1-293 طه)، (7/2 قطر) = (354/1 طه)، (63/2قطر) = (21/2 طه)، (82/2 قطر) = (37/2 طه)، (133/2 قطر) = (77/2 طه)، (150/2 قطر) = (90/2 طه)، (327/2 قطر) = (225 طه)، (338/2 قطر) = (232/2 طه)، (339/2 قطر) = (232/2 طه)، (361/2 قطر) = (249/2 طه)، (32/3 قطر) = (370/2 طه)، (102/3 قطر) = (425/2 طه)، (282/3 قطر) = (95/3 طه)، (219/6 قطر) = (379/5 طه)، (304/3 قطر) = (111/3 طه)، (313/3 قطر) = (116/3 طه)، (319/3 قطر) = (121-120/3 طه)، (359/3 قطر) = (149/3 طه)، (366/3 قطر) = (155/3 طه)، (436/3 قطر) = (208/3 طه)، (3/ 437 قطر) = (209/3طه)، (3/ 442 قطر) = (213/3 طه)، (3/ 474 قطر) = (238/3 طه)، (4/ 271 قطر) = (456/3-457 طه)، (4/ 316 قطر) = (39/4 طه)، (4/ 394 قطر) = (99/4 طه)، (4/ 416 قطر) = (118/4 طه)، (4/ 423 قطر) = (124/4 طه)، (4/ 424 قطر) = (125/4-126 طه)، (4/ 433 قطر) = (132/4 طه)، (4/ 446 قطر) = (142/4-143 طه)، (5/ 25 قطر) = (185/4 طه)، (5/ 212 قطر) = (364/4 طه)، (5/ 345 قطر) = (470/4 طه)، (5/ 393 قطر) = (37/5 طه)، (5/ 461 قطر) = (94/5 طه)، (5/ 464 قطر) = (97/5 طه)، (5/ 547 قطر) = (171/5 طه)، (6/ 15 قطر) = (223/5 طه)، (6/ 39 قطر) = (240/5 طه)، (6/ 226 قطر) = (385/5 طه).

[114] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب: تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، برقم: [2654]، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وتمامه: أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: «**إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء**». ثم قال ﷺ: «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**».

[115] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، برقم: [2788]، من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

يأخذ الله عز وجل سماواته وأرضيه بيديه، فيقول: «أنا الله، ويقبض أصابعه ويبسطها – يعني رسول الله ﷺ، أنا الملك، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول أساقط هو برسول الله ﷺ[116].

المطلب الثاني: اعتماد ابن قرقول الوهراني السياق في الترجيح.

كما حرص الإمام ابن قرقول على الترجيح باعتماد السياق وما يرشد إليه، وفيما يلي أمثل على لذلك:

1/ قال رحمه الله[117]: "قوله في فضائل الأنصار: «**وتُشْرِكُونَا فِي الأَمْرِ**»، كذا للكافة[118]، وعند الجُرْجَاني: «**فِي التَّمْرِ**»[119]، وهو الوجه". هنا أيضا رجح ابن قرقول كلمة: "التمر" لمناسبتها سياق الحديث بقوله: "وهو الوجه"، أي الوجه المناسب للسياق العام للحديث، وهو ما رواه أبو هريرة τ، قال: قالت الأنصار: اقسم بيننا وبينهم النخل، قال: لا، قال: يكفوننا المئونة، ويشركوننا في التمر، قالوا: سمعنا وأطعنا[120].

2/ قال رحمه الله[121]: "قوله: «**مَا لَكِ يَا عَائِشةُ حَشْيَا رَابِيَةً**»؟ قالتْ: فَقُلْتُ: لأَيِّ شَيْءٍ؟ كذا لأبي بَحْرٍ، وعند ابن سُكّرة، والجيّاني: لَا بِي شَيءٌ[122]، وعند ابن الحَذَّاء وبعضهم: "لَا شَيْءَ"، على النفي لما سألها عنه، وهو وجه الكلام، بدليل قوله: «**لَتُخْبِرِنِّي**» الحديث". ترجيح ابن قرقول عبارة: "لا شيءَ" مبني على انسجامها مع سياق الكلام، ولهذا قال: "وهو الوجه، بدليل قوله: «**لَتُخْبِرِنِّي**». وتمام الحديث: أنّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: ألا أحدثكم عنّي وعن رسول الله ﷺ؟ قلنا: بلى. قالت: لمّا كانت ليلتي التي كان النّبيّ ﷺ فيها عندي، انقلب فوضع رداءه، وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظنّ أن قد رقدتُ، فأخذ رداءه رويدا، وانتعل رويدا، وفتح الباب فخرج، ثم أجافه رويدا، فجعلت درعي في رأسي، واختمرت وتقنعت إزاري، ثم انطلقت على إثره، حتى جاء البقيع، فقام فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرت، فسبقته فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت، فدخل فقال: «**مالك يا عائشُ حَشْيًا رابيةً**»؟ قلت: لا شيء، قال: «**لتخبريني، أو ليخبرني اللطيف الخبير**». قلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي، فأخبرته. قال: «**فأنت السواد الذي رأيت أمامي**»؟ قلت: نعم، فلهدني في صدري لهدة أوجعتني، ثم قال: «**أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله**»؟ قالت: مهما يكتمِ الناس يعلمه الله، نعم. قال: «**فإن جبريل أتاني حين رأيتِ، فناداني، فأخفاه منك، فأجبته فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك، وظننت أن قد رقدتِ فكرهت أن أوقظكِ، وخشيت أن تستوحشي، فقال: إن ربَّك يأمرُكَ أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم**». قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: «**قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون**»[123].

---

[116] ينظر شرح النووي على صحيح مسلم: (132/17).

[117] (1/ 294 قطر) = (95/1 طه).

[118] هذه الرواية عزاها الحافظ للكشميهني. ينظر ابن حجر، فتح الباري: (113/7).

[119] في طبعة المطالع بتحقيق الدكتور طه بوسريح: "في الثمر".

[120] أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب: إخاء النّبيّ ﷺ بين المهاجرين والأنصار، حديث رقم: [3782].

[121] (366/1 قطر) = (144/1طه).

[122] في نسخة الدكتور طه بوسريح: "لأبي شيء". وهو بعيد لا ينسجم مع سياق الكلام ومدلوله.

[123] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: ما يقال عند دخول القبول والدعاء لأهلها، حديث رقم: [974].

وما رجحه ابن قرقول لا يلغي باقي العبارات، ولهذا قال القرطبي رحمه الله: "وهي الأقرب"؛ فعبارة: "لا بي شيءٌ"، برفع شيء، على أن "لا" بمعنى "ليس"؛ أي: ليس بي شيء، وعبارة: "لأيّ شيءٍ"، على الاستفهام تغطية لحالها، كأنها تقول: لأيّ شيءٍ تسأل[124].

3/ قال رحمه الله[125]: "وفي باب ما كان يعطي المؤلفة قلوبهم: «فَرَأَيْتُ عُنُقَهُ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ فِيهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ»[126]. كذا لكافتهم هنا، وعند الأصيلي: "الْبُرْدِ"، وهو الصواب؛ لأنه قد قال في أول الحديث: «بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ»، فلا يسمى هذا رداء". واضح أيضا أن ترجيح ابن قرقول لرواية الأصيلي مرده إلى سياق الحديث، فقد قال في أوله: «بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ»، ولم يقل: رداء. وقد أشار أيضا العلامة القسطلاني إلى رواية "البرد"[127]، ولعله أيضا اختيار الإمام أبي العباس القرطبي، فقد قال في المفهم[128]: "فإنّ هذا الجفاء العظيم الذي صدر من هذا الأعرابي، لا يصبر عليه، ولا يحلم عنه مع القدرة عليه إلا مثله، ثم ضحكه ﷺ عند هذه الجبذة الشديدة التي انشق البرد لها، وتأثر عنقه بسببها"، فلم يقل الرداء.

المطلب الثالث: اعتماد ابن قرقول الوهراني السياق في بيان العلة والوهم.

لقد انتقد ابن قرقول روايات كثيرة معتمدا على السياق، ومن ذلك الأمثلة الآتية:

1/ قال رحمه الله[129]: "قوله: «أَرْضَعَتْنِي وأَبَاهَا ثُوَيْبَةُ»[130]، بباء: من الأبوة، هكذا هي الرواية، وصحفه بعض الأندلسيين من أصحاب أبي ذرٍّ، فقال: «أَرْضعَتْنِي وإِيَّاهَا ثُوَيْبَةُ»[131]. وقد تقدّمه لهذا

---

[124] ينظر المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي: (635/2).

[125] (482/1 قطر) = (244/1 طه). وينظر أيضا: (1/ 494) = (254/1)، (506/1 قطر) = (264/1 طه)، (530/1 قطر) = (290/1 طه)، (1/ 545 قطر) = (304/1طه)، (555/1 قطر) = (314/1 طه)، (556/1 قطر) = (314/1 طه)، (1/ 567 قطر) = (325/1 طه)، (580/1 قطر) = (340/1 طه)، (2/ 10قطر) = (357/1 طه)، (50/2 قطر) = (9/2 طه)، (56/2 قطر) = (13/2 طه)، (70/2 قطر) = (26/2 طه)، (76/2 قطر) = (31/2 طه)، (87/2 قطر) = (40-41/2 طه)، (91/2 قطر) = (44/2 طه)، (2/ 104 قطر) – (53-54/2 طه)، (2/ 114 قطر) = (62/2 طه)، (2/ 117 قطر) = (65/2 طه)، (2/ 134قطر) = (78/2 طه)، (184/1 قطر) = (35/1 طه)، (186/2 قطر) = (117-118/2 طه)، (186/2 قطر) = (118/2 طه)، (206/2 قطر) = (136/2 طه)، (166/2قطر) = (103/2 طه)، (285/2 قطر) = (198/2 طه)، (309/2 قطر) = (214/2 طه)، (323/2 قطر) = (223/2 طه)، (348/2 قطر) = (239/2طه)، (2/ 356 قطر) = (245/2 طه)، (2/ 463 قطر) = (326/2 طه)، (2/ 475 قطر) = (333/2 طه)، (2/ 486 قطر) = (341/2 طه)، (3/ 26 قطر) = (365/2 طه)، (3/ 33 قطر) = (371/2 طه)، (3/ 36 قطر) = (373/2 طه)، (3/ 59 قطر) = (390/2 طه)، (3/ 89 قطر) = (415/2 طه)، (3/ 89 قطر) = (414/2 طه)، (3/ 103 قطر) = (426/2 طه)، (3/ 115 قطر) = (437/2 طه)، (3/ 125 قطر) = (444/2 طه)، (3/ 128 قطر) = (446/2 طه)، (3/ 141 قطر) = (455/2 طه)، (3/ 144 قطر) = (457/2 طه)، (3/ 150 قطر) = (461/2 طه)، (3/ 190 قطر) = (34/3 طه)، (3/ 207 قطر) = (46-47/3 طه)، (113/3 قطر) = (434/2 طه)، (249/3 قطر) = (73/3 طه)، (270/3 قطر) = (89/3 طه)، (280/3 قطر) = (94/3 طه)، (3/ 318 قطر) = (120/3 طه)، (3/ 438 قطر) = (210/3 طه)، (3/ 443 قطر) = (214/3 طه)، (3/ 443 قطر) = (214/3 طه)، (471/3 قطر) = (234/3 طه)، (4/ 64 قطر) = (290/3 طه)، (4/ 141 قطر) = (354/3 طه)، (4/ 178 قطر) = (383/3 طه)، (4/ 238 قطر) = (432/3 طه)، (4/ 260 قطر) = (447/3 طه)، (4/ 262 قطر) = (449/3 طه)، (4/ 293 قطر) = (22/4 طه)، (4/ 298 قطر) = (26/4 طه)، (4/ 337 قطر) = (56/4 طه)، (4/ 349 قطر) = (64/4طه)، (4/ 379 قطر) = (88/4 طه)، (4/ 460 قطر) = (156/4 طه)، (5/ 10 قطر) = (172/4 طه)، (5/ 11 قطر) = (173/4 طه)، (5/ 22 قطر) = (183/4طه)، (5/ 42 قطر) = (200/4 طه)، (5/ 57 قطر) = (214/4 طه)، (5/ 58 قطر) = (215/4 طه)، (5/ 144 قطر) = (304/4 طه)، (5/ 172 قطر) = (329/4طه)، (5/ 192 قطر) = (348/4 طه)، (5/ 192 قطر) = (348/4 طه)، (5/ 208 قطر) = (360/4 طه)، (5/ 227 قطر) = (375/4 طه)، (5/ 229 قطر) = (377/4 طه)، (5/ 237 قطر) = (384/4 طه)، (5/ 332 قطر) = (461/4 طه)، (5/ 413 قطر) = (53/5 طه)، (5/ 448 قطر) = (83/5 طه)، (453/5 قطر) = (87/5 طه)، (5/ 483 قطر) = (114/5 طه)، (5/ 540 قطر) = (166/5 طه)، (6/ 65 قطر) = (263/5 طه)، (181/6قطر) = (352/5طه)، (6/ 213 قطر) = (375/5 طه)، (6/ 228 قطر) = (387/5 طه)، (6/ 257 قطر) = (410/5 طه)، (6/ 258 قطر) = (411/5 طه).

[126] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب: ما كان النّبيّ ﷺ يعطي المؤلفةَ قلوبهم وغيرَهم من الخمس ونحوه، برقم: [3149]، من حديث أنس بن مالك τ، وتمامه: قال: كنت أمشي مع النّبيّ ﷺ وعليه بُرْدٌ نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق النّبيّ ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مرلي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه، فضحك، ثم أمر له بعطاء.

[127] ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: (226/5).

[128] ينظر: (9/ 68).

[129] (170/1 قطر) = (23/1 طه)، مع اختلاف يسير.

التصحيف كثير من المتقدمين فَنُعِيَ عليه. وقوله في أول الحديث: «إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي»[132]، يدفع كلَّ تصحيفٍ وتحريفٍ، وقد جاء في البخاري من رواية التَّنِيسِي، وبشر بن عمر: «أَرْضَعَتْنِي وأَبَا سَلَمَةَ ثُوْيبَةً»[133]. وفي كتاب مسلم من رواية ابن رُمْحٍ: «أَرْضَعَتْنِي وأَبَاهَا أَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ"[134]. فسياق الحديث يدفع رواية أبي ذر ومن تقدمه، وهي قرينة اعتمدها ابن قرقول لبيان العلة في هذه الرواية.

2/ قال رحمه الله[135]: "قول عبد الله بنِ الزبير: «**إِيهًا والإِلَهِ، تِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا**»، كذا لِلنَّسفي من رواية البخاري[136]، وعند الفَرَبْرِيّ: "فَقَالَ: ابْنُهَا: وَالإِلَهِ"[137]، فصحف "إِيهًا" بقوله: "ابْنُهَا"، والصواب الأول، وهو وجه الكلام إن شاء الله. و"إِيهًا": كلمة تصديق وارتضاء، كأنه قال: صدقتم، فزيدوا من مثل هذِه النقيبة التي اعتقدتموها نقيصة، وقد تأتي: "إِيهًا" بمعنى الاستكفاف إذا قرنت بـ (عن) يقال: إِيهًا عَنَّا، وإِيهٍ عَنَّا، أي: كفَّ عنَّا واقطع". واضح من قوله: "وهو وجه الكلام" أنه قدّم رواية النسفي على رواية الفربري؛ لانسجامها مع دلالة سياق الرواية، وأكدّ ذلك بقوله: " وإِيهًا كلمة تصديق وارتضاء" إلى آخر كلامه.

3/ قال رحمه الله[138]: "قوله: «**وكَفَلَهُمْ عَشَائِرُهُمْ، فَأَبَوا تَكَفُّلَهُمْ**»[139]. كذا في جامع البخاري، عند الأصيلي، والقابسي، وعُبْدُوس من رواة أصحاب الفَرَبْرِيّ، وهو وهمٌ وتغييرٌ مفسدٌ للمعنى؛ إذ لا وجه لـ "أَبَوا" ها هنا، وصوابه: "فَتَابُوا" من التوبة، كما عند أبي إِسْحَاقَ النَّسفي، وأبي عَلي ابنِ السكن، والهمداني،

---

[130] تمام الحديث: ما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ﴾، برقم: [5101]، من حديث أم حبيبة رضي الله عنها، قالت: قلت يا رسول الله، انكح أختي بنت أبي سفيان، فقال: «**أوتحبين ذلك**»؟ فقلت: نعم لست لك بِمُخْلِيَةٍ، وأَحَبُّ مَن شاركني في خيرٍ أختي، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**إن ذلك لا يحل لي**». قلت: فإنا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة، قال: «**بنت أم سلمة**»؟ قلت: نعم. فقال: «**لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي، إنها لابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة، فلا تعرضن علي بناتكن، ولا أخواتكن**».

[131] قال الإمام الخطابي رحمه الله: "أخبرنا ابن الأعرابيّ، عن عبّاس الدوري، قال: سألتُ يحيى بن مَعِين عن حديثِ أُمّ حَبِيبة: هل لكَ في دُرَّة بنت أبي سَلَمَة؟ فقال: أَرْضَعَتني وأَباها ثُوَيْبَةُ. فقلتُ ليحيى: **أَرْضَعَتْني وإِيَّاها ثُوَيْبَة**، فأَبَى، وقالَ: أرضعتني وأباها ثُوَيْبَة. يريدُ أَنَّها ابنةُ أخيهِ من الرَّضَاعةِ. إصلاح غلط المحدثين: (ص/55).

[132] هذا لفظ مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب: تحريم الربيبة وأخت المرأة، حديث رقم: [1449]. وأما لفظ البخاري: **إنها لابنة أخي**، كما تقدم.

[133] أخرجها البخاري في كتاب النكاح، باب: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾، برقم: [5107]. وأخرجها أيضا من حديث الحكم بن نافع برقم: [5101]، وحديث يحيى بن أبي بكير برقم: [5372].

[134] هذا اللفظ الذي ساقه المصنف لم يخرجه مسلمٌ، وإنما لفظه عنده برقم: [1449] «**أرضعتني وأباها ثويبةُ**». وقد أخرج أبو عوانة في مسنده: (114/3) برقم: [4404] حديث ابن شهاب، عن عروة: أن زينب بنت أبي سلمة، أخبرته أن أم حبيبة، وفيه: قال رسول الله ﷺ: «**لو لم تكن أمها تحتي ما حلت لي، إن أبا سلمة أخي من الرضاعة أرضعتني وأباها ثويبةُ**».

[135] (1/ 174 قطر) = (26/1 طه).

[136] أخرجه في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب: الخبز المرقق والأكل على الخوان والسفرة، حديث رقم: [5388]. من حديث وهب بن كيسان، وتمامه: قال: كان أهل الشام يعيرون ابن الزبير، يقولون: يا ابن ذات النطاقين، فقالت له أسماء: يا بنيّ، إنهم يعيرونك بالنطاقين، هل تدري ما كان النطاقان؟ إنما كان نطاقي شققته نصفين، فأوكيت قربة رسول الله ﷺ بأحدهما، وجعلت في سفرته آخر. قال: فكان أهل الشام إذا عيروه بالنطاقين، يقول: إيها والإله، تلك شكاة ظاهر عنك عارها".

[137] قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: "(إيهًا) كذا للأكثر، ولبعضهم: (ابنها) بموحدة ونون، وهو تصحيف، وقد وجه بأنه مقول الراوي، والضمير لأسماء، وابنها هو بن الزبير، وأغرب ابن التين، فقال: هو في سائر الروايات: (ابنها)، وذكره الخطابي بلفظ: (إيها)". فتح الباري: (533/9).

[138] (175/1 قطر) = (27/1 طه). وينظر أيضا: (405/1 قطر) = (181/1 طه)، (/1 438 قطر) = (214/1 طه)، (485/1 قطر) = (247/1 طه)، (539/1قطر) = (298/1 طه)، (579/1 قطر) = (339/1 طه)، (116/2 قطر) = (64/2 طه)، (164/2 قطر) = (102/2 طه)، (226/2 قطر) = (153/2طه)، (/2 318 قطر) = (218/2 طه)، (/2 329 قطر) = (226/2 طه)، (/2 412 قطر) = (291/2 طه)، (/2 449 قطر) = (317/2 طه)، (/2 458 قطر) = (323/2 طه)، (/3 91 قطر) = (416/2 طه)، (/3 341 قطر) = (137/3 طه)، (/4 319 قطر) = (42/4 طه)، (/5 77 قطر) = (234/4 طه)، (99/5 قطر) = (262/4 طه)، (/5 349 قطر) = (474/4 طه)، (/5 350 قطر) = (475/4 طه)، (/5 435 قطر) = (72-71/5 طه)، (/5 575 قطر) = (202/5طه)، (/6 88 قطر) = (279/5 طه).

[139] وفي نسخة الدكتور طه بوسريح: "**وكَفِّلَهُمْ عَشَائِرَهُمْ، فَأَبَوا فَكَفَلَهُمْ**". والحديث بتمامه أخرجه البخاري معلقا في مطلع كتاب الكفالة، باب: الكفالة في القرض والدّيون بالأبدان وغيرها، عقب حديث رقم: [2290]، قال: "وقال جريرٌ، والأشعث لعبد الله بن مسعود في المُرْتَدّين: اسْتَتِبْهُم وكَفِّلهم، فتابوا وكَفَلَهُم عشائرُهم".

والْهَرَوِيّ؛ يدلُّ على ذلك أول الحديث:"اسْتَتِبْهُمْ"، ثم أخبر أنهم تابوا". فهنا ردُّ الإمام ابن قرقول رواية الأصيلي، والقابسي، وعُبْدُوس من رواة أصحاب الفَرَبْرِيّ مبني على مخالفتها السياق العام للحديث، بدليل قوله: "يدلُّ على ذلك أول الحديث : (اسْتَتِبْهُمْ)، ثم أخبر أنهم تابوا". هذا هو المسلك الذي ارتضاه ابن قرقول في إعلال الرواية، وهو وجيه جدا في التعامل مع الرواية التي قدّمها، إلا أنّ الحافظ ابن حجر وجه رواية الأصيلي والجماعة توجيها يرفع الإشكال، فقال رحمه الله: "وقع في أكثر الروايات في هذا الأثر: (فتابوا) من التوبة، ووقع في رواية الأصيلي، والقابسي، وعُبدوس: (فأبوا) بغير مثناة قبل الألف. قال عياض: وهو وهم مفسد للمعنى. قلت: والذي يظهر لي أنه: (فآبَوا) بهمزة ممدودة، وهي بمعنى: فرجعوا، فلا يفسد المعنى"[140].

الخاتمة: وقد ضمنها نتائج البحث، وهي كالآتي:

- مصطلح السياق كان مألوفا لدى الطبقات الأولى من علماء الإسلام، وكَثُرَ استعماله في استدلالاتهم ونظرهم الفقهي، والتنويه بأهميته وبيان آثاره في كشف المعاني والترجيح، إلا أنّهم لم يعرفوه في الناحية الاصطلاحية ولعل سبب إعراضهم عن ذلك راجع إلى عنايتهم بالجانب التطبيقي دون النظري.

- السياق من المصطلحات العصية على التحديد الدقيق من الجانب الاصطلاحي على وجه العموم، وقد تنوعت التعاريف لاختلاف زاوية النظر، فاستعمله أهل الدلالة والبيان، والأصوليون، والفقهاء، والمفسرون، والمحدثون، إلاّ أنّ كل طائفة كانت لها العناية بالسياق، وجعلته مرتكزا لها في التوجيه والترجيح.

- يمكن أن نطلق مصطلح السياق على مفهومين: **السياق اللغوي**: ويشمل ألفاظ النص وتراكيبه، و**سياق المقام أو السياق الخارجي**، متمثلا في الظروف التي أنشئ فيها الخطاب، كالزمان، والمكان، والمرسل، والمتلقي.

[140] فتح الباري: (533/9).

- اهتمام المحدثين بالسياق في التعامل مع الأحاديث النبوية، لما لهذا المسلك الجليل من أهمية بالغة في تحقيق الفهم الصحيح.

- السياق في مصنفات المحدثين لا يكاد يغيب، فقد اجتهدوا في تقليب الروايات، ومقابلة بعضها ببعض، ولاحظوا أنّ السياق قد يرشد إلى تبيين مجملٍ، أو تخصيص عامٍ، أو تقييد مطلقٍ، وهذا من صميم علم مختلف الحديث.

- السياق من الأدوات المنهجية التي يتعين على شارح الحديث أن يتسلح به.

- معرفة السياق أمر ضروري للوقوف على المعنى الدقيق المقصود من الحديث النبوي.

- السياق قاعدة مهمة نصّ عليها الأئمة رحمهم الله، وطبقوها في تعاملهم مع النصوص.

- حرص ابن قرقول على لقاء الشيوخ، والرحلة في طلب العلم، فكان من شيوخه طائفة جليلة، منهم: أبو بكر ابن العربي الإمام، والقاضي عياض.

- أثنى على ابن قرقول الوهراني أهل المشرق والمغرب، وقد بالغ الحافظ الذهبي في مدحه، ولم يجد له وصفا يوفيه حقه إلا أنّه من أوعية العلم.

- غالب من ترجم لابن قرقول لم يذكر إلا كتاب **(المطالع)**، بينما كان رحمه الله صاحب تواليف، رواها عنه تلميذه يوسف بن محمد بن الشيخ، وقد وصفها ابن دحية بأنها متقنة مفيدة.

- كتاب **(مطالع الأنوار على صحاح الآثار)**، قصد فيه مؤلفه - على الصحيح - تنقيح كتاب شيخه القاضي عياض **(مشارق الأنوار على صحاح الآثار)**، وهو عبارة عن تفسيرٍ لغريب الحديث الواقع في الصحيحين وموطأ الإمام مالك، وقد جمع فيه بين ضبط الألفاظ واختلاف الروايات وبيان المعنى.

- كتاب **(المطالع)** – مع كونه على منوال كتاب **(المشارق)** إلاّ أنّه غزير الفوائد.

- الناظر في كتاب **(المطالع)** يجد ابن قرقول قد انتهج طريقة شيخه في **(المشارق)**، من حيث:

1/ تقسيمُ الكتاب إلى أبواب وفق حروف المعجم بحسب ترتيب أهل الغرب الإسلامي والأندلس. **2**/ ترتيب الحروف داخل الأبواب ترتيبا معجميا، مع عدم التزام ابن قرقول هذا الترتيب في كثير من مواضع. **3**/ ذِكر تحت كل حرف أوهام الرواة واختلافاتهم. **4**/ إيراد فصول حوت على مشكل الأسماء والكنى، وذكر الأماكن والبقاع، وقد يضيف فصولا أخرى إن توفرت لديه المادة العلمية. **5**/ افتتح ابن قرقول كتابه بمقدمة بين فيها الجهد الذي قام به المحدثون لحفظ سنة النّبيّ ﷺ، وحراستها من التبديل والتغيير. **6**/ حرص ابن قرقول على تغيير عناوين الفصول التي أوردها القاضي عياض في **(المشارق)** ولو بحذف حرف. **7**/ قيامه بتقديم وتأخير في كلام القاضي عياض بما يراه مناسبا. **8**/ اختصار المادة العلمية وقد كان ذلك من مقاصد تأليف **(المطالع)**. **9**/ استدراكه على شيخه عياض، وإصلاح ما ناله من أوهام.

- كتاب **(المطالع)** نال شهرة فاقت شهرة **(المشارق)**، لذا اهتم به أهل العلم عبد الأزمان.

- أعمل الإمام ابن قرقول السياق في جوانب ثلاثة: الأول: في فهم الحديث النبوي الشريف، وإعطاء كل لفظة مقامها المناسب لها بحسب ورودها في الحديث وعلاقتها بما يسبقها أو يتلوها من ألفاظ، والثاني: في الترجيح والتقديم، والثالث: بيان العلة والوهم.

- أظهرت عملية تتبع كتاب **(المطالع)** أن إعمال السياق في الترجيح جاء في ست وتسعين (96) موضعا، ثم في فهم الحديث النبوي في أربع وأربعين (44) موضعا، ثم في بيان العلة ووقوع الوهم في أربع وعشرين (24) موضعا.

- نبه ابن قرقول على أنّ تجاهل السياق يؤدي إلى تحريف المراد من الحديث في مواضع كثيرة من كتاب المطالع.

- قد يدل سياق الكلام على قبول الوجهين المختلفين عند الإمام ابن قرقول.

فهرس المصادر والمراجع

1. **أبو محمد السجلماسي وكتابه المنزع البديع**، الأستاذ سعيد أعراب، مجلة دعوة الحق، المجلد:4، سنة (1382هـ-1962).
2. **أثر السياق في توجيه دلالة الحديث النبوي الشريف – أحاديث مختارة -**، الدكتورة سامية محصول، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيم الميلي الجزائري، بوزريعة الجزائر، المجلد: 14، العدد:1، السنة (2022).
3. **أثر السياق في فهم النص القرآني**، الدكتور عبد الرحمن بودرع، الرابطة المحمدية للعلماء المغرب، العدد 25.

4. **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، العلامة أبو الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري، المعروف بابن دقيق العيد. تحقيق محمد حامد الفقي، ومراجعة أحمد محمد شاكر، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، (د ط)، (1372هـ-1953م).
5. **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، العلامة أبو العباس القسطلاني. المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7 (1323هـ).
6. **إصلاح غلط المحدثين**، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي. تحقيق الدكتور محمد علي عبد الكريم الرديني، دار المأمون للتراث، (1407هـ).
7. **انتقال الحمّاديين من القلعة إلى بجاية – دراسة في الأسباب والنتائج**، الدكتور خالد حموم، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1، المجلد: 33، العدد: 4، ديسمبر 2022.
8. **الأنساب**، الإمام أبو سعد عبد الكريم السمعاني. تقديم وتعليق عبد الله بن البارودي، دار الجنان، بيروت لبنان، ط1 (1408هـ-1988م).
9. **البحث اللساني والسميائي**، سلسلة ندوات ومناظرات رقم: 6، (2-3-4 رجب1401هـ-7-8-9 ماي1981م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، جامعة محمد الخامس.
10. **بدائع الفوائد**، للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، المعروف بابن القيم، تحقيق مجموعة من الباحثين، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط1 (1416هـ–1996م).
11. **البرهان في علوم القرآن**، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط3 (1404-1984م).
12. **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي. درا الكتاب العربي، (د ط)، (1967م).
13. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت لبنان، ط2 (1399هـ-1979م).
14. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1 (1407هـ-1987م).
15. **التبيان لبديعة البيان**، الإمام ابن ناصر الدين الدمشقي. دراسة وتحقيق مجموعة من الباحثين، طبع دار النوادر، دمشق/بيروت، ونشر وقفية المُزيني لنشر كتب التراث الإسلامي، دولة الكويت، ط1 (1429هـ-2008م).
16. **التجريد على التنقيح**، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن السخاوي. تحقيق هشام بن علي السعيدني، ونادر مصطفى محمود، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 (1426هـ-2005م).

17. **ترتيب الحروف الأبجدية بين المشارقة والمغاربة**، الدكتور عبد الهادي التازي. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد: 56، شعبان (1405هـ)، مايو (1985م).
18. **ترجمة ابن عطية**، الإمام القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية المحاربي الأندلسي. تحقيق محمد أبي الأجفان، ومحمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2 (1983م).
19. **تكملة الإكمال**، الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي، المعروف بابن نقطة، تحقيق الدكتور عبد القيوم عبد ربّ النّبيّ، من مطبوعات جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ط1 (1408هـ-1987م).
20. **التكملة لكتاب الصلة**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي، المعروف بابن الآبار. حققه وضبطه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1 (2011م).
21. **تنوير الحوالك شرح موطأ مالك**، الحافظ أبو بكر السيوطي. المكتبة التجارية الكبرى، مصر (1389هـ-1969م).
22. **التوشيح شرح الجامع الصحيح**، الحافظ أبو بكر السيوطي. تحقيق رضوان جامع رضوان، مكتبة الرشد الرياض، ط1 (1419هـ-1998م).
23. **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، الإمام سراج الدين ابن الملقن. بعناية دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق سوريا، ط1 (1429هـ-2008م).
24. **الجامع الصحيح**، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، (1419هـ-1998م).
25. **الجامع الصحيح**، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، (1419هـ-1998م).
26. **جوانب من حضارة قلعة بني حماد وبجاية**، الدكتور غرداوي نور الدين، مجلة الدراسات الأثرية، جامعة الجزائر2، العدد1.
27. **حاشية العطار على جمع الجوامع**، للعلامة الشيخ حسن العطار: (320/1). دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د ط)، (د ت ط).
28. **الحياة الاقتصادية والثقافية لقلعة بني حماد**، الدكتور سعودي أحمد، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عمار ثليجي – الأغواط، المجلد: 5، العدد: 2، 2021.
29. **خطة السياق ومحاولة تطبيقها على النص الحديثي**، الدكتور محمد خروبات. من مطبوعات الرابطة المحمدية للعلماء، سلسلة الإسلام والسياق المعاصر. وهو بحث مقدم إلى الندوة العلمية الدولية، من تنظيم الرابطة المحمدية للعلماء في موضوع: أهمية اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة العمل بالأحكام، المنعقدة أيام: 10-11-12 جمادى الثانية سنة 1428هـ، الموافق لـ: 26-27-28 يونيو 2007م.
30. **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، الحافظ ابن حجر العسقلاني. مجلس دائرة المعارف العثمانية الهند، (1392هـ/1972م).

31. **دلالة السياق**، الدكتور ردَّة الله بن ردَّة بن ضيف الله الطلحي. من مطبوعات جامعة الأمة القرى بمكة المكرمة، (1418هـ).
32. **السجلماسي وكتابه المنزع البديع في تجنيس الأساليب**، الدكتور عبد القادر هني، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، المجلد:10، عدد:1.
33. **السياق المقالي والحالي وأثرهما في توجيه الحديث النّبوي الشريف**، للأستاذ عبد الله وايني، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، المجلد:16، عدد:1، السنة (2017).
34. **السياق عند المحدثين منهجا متكاملا لفهم الحديث النبوي**، الدكتور أبو بكر كافي، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعوم الإسلامية قسنطينة، مجلد:21، عدد:2، السنة: 2022.
35. **السياق عند علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة**، الدكتور إبراهيم أصبان. من مطبوعات الرابطة المحمدية للعلماء، ضمن سلسلة الإسلام والسياق المعاصر، ندوة من تنظيم الرابطة المحمدية للعلماء في موضوع: أهمية اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة العمل بالأحكام، المنعقدة أيام: 10-11-12 جمادى الثانية سنة 1428هـ، الموافق لـ: 26-27-28 يونيو 2007م.
36. **السياق وأثره في فقه الحديث النبوي**، الدكتور أمير شريبط، مجلة الشريعة والاقتصاد، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، المجلد:3، عدد:5، السنة (2014).
37. **سير أعلام النبلاء**. الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي.....
38. **شرح النسائي**، الحافظ أبو بكر السيوطي. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب، ط2 (1406هـ-1986م).
39. شرح النووي على صحيح مسلم. المطبعة المصرية بالأزهر، جمهورية مصر العربية، ط1 (1349هـ-1930م).
40. **شرح سنن ابن ماجه**، العلامة علاء الدين مغلطاي. تحقيق كامل عويضة، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط1 (1419هـ-1999م).
41. **شرح سنن أبي داود**، الإمام بدر الدين العيني. تحقيق أبي المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد الرياض، ط1 (1420هـ-1999م).
42. **شرح سنن أبي داود**، الإمام شهاب الدين أبو العباس ابن رسلان. تحقيق عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم جمهورية مصر العربية، ط1 (1437هـ-2016م).
43. **شرح موطأ مالك**، العلامة محمد بن عبد الباقي الزرقاني. دار الكتب العلمية، بيروت، (1411هـ).
44. **الصلة**، أبو القاسم خلف بن عبد الملك الخزرجي الأنصاري: (131/1). تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة، ودار الكتاب اللبناني بيروت، ط1 (1410هـ-1989م).

45. **طبقات الشافعية**، ابن قاضي شهبة، تحقيق الدكتور الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط1 (1407هـ).
46. **العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام**، الإمام علاء الدين ابن العطار. اعتنى به نظام محمد صالح يعقوبي، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1 (1427هـ-2006م).
47. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، الإمام بدر الدين العيني، ضبطه وصححه عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1 (1421هـ-2001م).
48. **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، العلامة محمد شمس الحق العظيم آبادي. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2 (1415هـ).
49. **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، العلامة محمد شمس الحق العظيم آبادي. مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط1 (1415هـ-1995م).
50. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، الحافظ ابن حجر العسقلاني. دار المعرفة، بيروت لبنان، (1379م).
51. **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، العلامة عبد الحي بن
عبد الكبير الكتاني، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2 (1982م).
52. **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**، العلامة محمد عبد الرؤوف المناوي. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1 (1415هـ-1994م).
53. **كتاب الرسالة**، الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. (د ط)، (د ت ط).
54. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، العلامة مصطفى بن عبد الله، المشهور بحاجي خليفة. دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، (د ت ط)، (د ط).
55. **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، العلامة شمس الدين الكرماني. دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط2 (1401هـ-1981م).
56. **اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح**، شمس الدين البِرْماوي. تحقيق ودراسة لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر سوريا، ط1 (1433هـ-2012م).
57. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط1.
58. **مجموع الفتاوي**، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. تحقيق أنور الباز، وعامر الجزار، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة جمهورية مصر العربية، ط3 (1426هـ/2005م).
59. **المسالك في شرح موطأ مالك**، الإمام أبو بكر ابن العربي، علق عليه محمد بن الحسين السُّليماني، وعائشة بنت الحسين السُّليماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1 (1428هـ-2007م).

60. مسلم.....
61. **المشتبه في الرجال**، الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي. تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ط1 (1962م).
62. **مصابيح الجامع**، الإمام بدر الدين ابن الدماميني. بعناية نور الدين طالب، دار النوادر سوريا، ط1 (1430هـ-2009 م).
63. **مطالع الأنوار على صحاح الآثار** في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ والبخاري ومسلم وإيضاح مبهم لغاتها وبيان من أسناء رواتها وتمييز مشكلها وتقييد مهملها، الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الحمزي الوهراني، المعروف بابن قرقول، تحقيق قسم البحث العلمي وتحقيق التراث بدار الفلاح، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، ط1 (1433هـ-2012م).
64. **مطالع الأنوار على صحاح الآثار** في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ والبخاري ومسلم وإيضاح مبهم لغاتها وبيان من أسناء رواتها وتمييز مشكلها وتقييد مهملها، الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الحمزي الوهراني، المعروف بابن قرقول، تحقيق الدكتور طه بن علي بوسريح. دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1 (1435هـ-2014م).
65. **المطرب من أشعار أهل المغرب**، أبو الخطاب عمر بن الحسن، المعروف بابن دحية. تحقيق إبراهيم الأبياري، والدكتور حامد عبد المجيد، راجعه طه حسين، دار العلم للجميع، بيروت لبنان، (د ط)، (د ت ط).
66. **معجم البلدان**، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي. دار الفكر بيروت، (د ط)، (د ت ط).
67. **المعجم الوسيط**، من إصدار مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4 (1425هـ-2004م).
68. **معجم مقاييس اللغة**، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (1399هـ-1979م).
69. **مفردات ألفاظ القرآن**، الراغب الأصفهاني تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، ط4 (1430هـ-2009م).
70. **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، أبو العباس القرطبي. تحقق جماعة من الباحثين، دار ابن كثير، دمشق/بيروت، ودار الكلم الطيب، دمشق/بيروت، ط1 (1417هـ-1996م).
71. **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع**، أبو محمد القاسم السجلماسي. تقديم وتحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف الرباط، ط1 (1401هـ-1980م).
72. **نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار**، الإمام بدر الدين العيني. تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط1 (1429هـ-2008م).

73. **نفح الشذي في شرح جامع الترمذي**، الإمام أبو الفتح ابن سيد الناس اليعمري. دراسة وتحقيق وتعليق: الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، دار العاصمة، الرياض، ط1 (1409هـ).
74. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، الإمام أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير. تحقيق محمود محمد الطناحي، وطاهر أحمد الزاوي، المكتبة العلمية بيروت، (1399هـ-1979م).
75. **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرنؤوط، وتزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1 (1420هـ-2000م).
76. **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، (1420هـ-2000م).
77. **وفيات الأعيان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان. تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، (د ت ط).